أناتول فرانس في موقف الدفاع

وفي صباح ذلك اليوم . . كان والدي عابس الوجه مقطب الجبين ، وبدت والدتي كمن أثقله كثرة العمل ، فهي في غدو ورواح مستمر تلق أوامرها هنا وهناك بصوت خافت . . يكاد لا يسمع ، وفي غرفة أخرى ، جلست سيدة ، تخيط من الدامس ما كان أسود اللون قاتمه .

وكان طعام الافطار فتناولناه في سكون مخيم وحزن عميق دون أن نتبادل الحكايات ، كما هي العادة عند كل أسرة تضمها مائدة واحدة ، بل اقتصر الأمر على بضع كلمات يهمس بها المرء لجاره ، دون أن تتعدى شخصه أو يسمعها غيره . وكانت هذه الحالة مقلقة مما جعلني أتنبأ بوقوع مصاب عظيم لا أعرف كنهه ولا أقف له على قرار .

وأخيراً ، جاءت الى والدتي وهي مرتدية لباس الحداد الأسود وقالت تخاطبني :

— هيا يا عزيزي !

ولما لم أدر الى أين نحن ذاهبون ، سألتها عن وجهتنا من هذا السير . . فقالت :

— بيير اصغ الى ما أقوله . . ان جدتك ، والدة أبيك ستفارق هذا العالم ، هذه الليلة . ولذا سنذهب لوداعها الوداع الأخير . ولنحظى منها بآخر نظرة قبل الممات . . . .

ولشد ما رأيت والدتي تبكي دموعاً ساخنة غزيرة . . فتملكتني عاطفة قوية ، لا أزال أشعر بها حتى الآن حينما أتذكر تلك اللحظة الرهيبة ، فلا مرور عشرات السنين بقادر على أن يمحو من ذاكرتي ، تلك الذكرى التي لا تستطيع كلماتي القاصرة أن تصفها حق الوصف والتقدير . . . على أني لا أكون قد تجاوزت الحقيقة اذا قلت ان تلك العاطفة التي تملكتني ، وأنا لا أزال طفلاً صغيراً لم يكن يشوبها شائبة من الحزن الدفين . . لأني على يقين من أن عاطفة الحزن لا يشوبها شائبة من الألم الدائم ، أو الجرح الميت بل هي عاطفة هادئة وادعة . . .

وعلى طول الطريق ، الذي كنا نقطعه ، كان أمر جدتي يشغل من تفكيري قسطاً كبيراً ويجهد رأسي عملاً وتفكيراً . الا أني مع كل ذلك لم أصل الى رأي صائب من تلك الخاتمة المؤلمة التي تنتظر جدتي ، والتي من المنتظر دون مهل أو تأخير . . . للموت ، يالله ! ! لم أكن لأدري أن هذه [illegible]

وكنت أشعر كأني سائر في طريق من الاوهام والأحاجي . . . ، لا أهتدي الى الطريق القويم ، ولما عرجنا في منعطف الشارع ، ظهرت حديقة المنزل بل المنزل نفسه واضحاً للعيان . . بل كانت الطيور تغرد على الاشجار كأنه لم يحدث شيء ، وكأن ذلك المنزل لا يضم بداخله ، شخصاً عزيزاً مفقوداً . . .

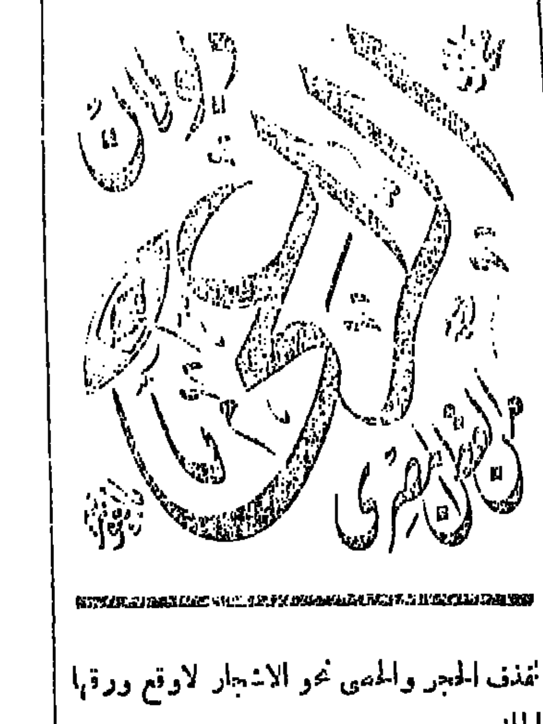
وشعرت لأول مرة بالخوف يدب في أعضائي ، فاتجهت الى أمي بالنظر أبغي منها المعونة والمساعدة فاذا بها عالقة بالنظر الى شيء لم أستطع تبيانه في أول الامر فتتبعتها بنظري واذا بي أرى من فتحة صغيرة من النافذة بين زجاج النافذة والستارة التي تكسوه شبحاً صغيراً مسجى على سرير قائم في وسط الغرفة وقد سقطت عليه أشعة الصباح فبدا شبحاً صغيراً لا تكاد تميزه العين أو يقع عليه البصر .

وارتقينا السلم الخشبي في سكون ، حتى وصلنا الى غرفة الموت ، فاذا بها في سكون أروع . . . ولما مدت أمي يدها لتفتح باب تلك الغرفة الروعة كان بودي لو أوقفها عن ذلك . . . لما تملكني حينئذ من الذعر والخوف . .

ووطئت قدمانا أرض الغرفة . . فاذا بسيدة من الراهبات ، جالسة على مقربة من سرير الفقيدة ، ففسحت لنا مكاناً على مقربة من ذلك الشبح النائم المقفل العينين .

ونظرت اليها ، فاذا بي يخيل لي أن رأس الفقيدة قد زاد ثقلا فأصبح بزنة مثقال الحجر ، وأنها لابد عظيمة وسادتها تحطها ! ! يالله ! بأي فكر ، وأية آراء كنت أنظر خلالها نحو تلك السيدة الفاضلة ، وكان يغطي رأسها غطاء يحجب شعرها عن عين الناظر ، فبدت أقل كبراً عما هي بل وأجمل شكلاً .

ولعمري من يراها يظن أنها في سبات عميق ، لا في نوم أبدي مقيم . . ولكن ما هذه الابتسامة الصغيرة الروعة التي ترتسم على ثغرها والتي تبعث في النفس الألم والأسى ؟ ؟ وكان يخيل لي أيضاً ، أن عيني السيدة منفرجتان قليلاً تحت تأثير ضوء شمعتين متقدتين وموضوعتين على المائدة ، بينما على جانب منهما ، وضع فرع شجرة صغيرة في آنية مملوءة بالماء المقدس [illegible]



تقذف الحجر والحصى نحو الاشجار لاوقع ورقها الجاف . .

في هذه اللحظة نسيت جدتي . . ونسيت الراحلة الكريمة .

* * *

ولما كان الليل ، أثارت رؤية أبي في نفسي ، حادث الصباح الجلل . . ولقد كان من المتعذر على أنا ابنه الوحيد ، أن أعرف ذلك الأب المسكين ، لما قد طرأ عليه من التغير . . فوجهه أحمر منتفخ وكذا عيناه ، بينما كانت شفتاه قرمزية اللون .

ولم يكن ليعير قولنا التفاتاً أو يعمل بنصح ناصح ، بل أثقله رزء الصباح فأصبح ينوء تحت كلكله ويحاول أن يتخلص من براثنه بالتمسك بأهداب الصبر والسلوان . . وعلى مقربة من ذلك الوالد الحزين جلست أمي لتكتب ماتشاء من الاسماء ؟ على ظروف قد جللها السواد . وكان على أنا ، أن أقوم بوضع تلك المكتوبات داخل تلك الظروف السوداء . . . فيالها من مهمة شاقة على طفل صغير مثلي ؟ ؟ !

ولما كان ذلك الرزء وتلك الفجيعة ، فقد توالت على منزلنا ، وفود عدة ، من سائر الأسر فيما بين حزين لمصابنا ، متوجع لألمنا وشامت مسرور لما قد أصابنا ، ولو أنه يخفي ابتسامته في صدره ، الا أنها لا تخفى على عين الباصر الدقيق . .

وكنت أرى أن جدتي لم تمت ، وانما تمر من حياة الى أخرى ، أكثر جمالاً وأشد روعة . . وأخذت أعرض في مخيلتي صور الماضي المتعلقة بالفقيدة ، فأراجع في ذهني ما قد أكون سمعته منها أو رأيتها تفعله .

وكانت ذكرى جدتي ، لا تزال تحتل جانباً كبيراً من تفكيري ، [illegible]

[illegible]

[illegible]

مسألة يراد حلها من ثلاث نقلات

وضع الاسود



وضع الابيض

قطع الابيض سبع : شاه ، وزير ، فرسان [illegible] بيدق

قطع الأسود ثلاث : شاه ، فرس ، [illegible]

لعب في مدينة موسكو

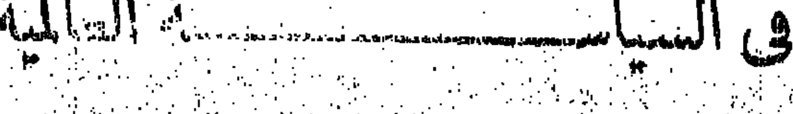
دور هندي

	الابيض بوبوف	الاسود رودين
١	ب — ٤ و	ح — ٣ م
٢	ب — ٤ فو	ب — ٣ م
٣	ح — ٣ فو	ف — ٥ حو
٤	و — ٣ حو	ب — ٤ ر
٥	ح — ٣ فم	ح — ٣ ر
٦	ب — ٣ م	ت
٧	ف — ٢ م	ب — ٣ م
٨	ت	ف — ٢ م
٩	ح — ٥ حو	ب — ٤ ر
١٠	ب — ٣ رو	ف — ٤ ر
١١	رم — ١ و	ب — ٣ ر
١٢	ب × ب و	ب م × ب
١٣	ح — ٣ فو	ب — ٥ ر
١٤	و — ٢ فو	ب — ٤ حو
١٥	ب — ٤ حو	ف — ٢ ر
١٦	ب — ٤ م	ب × ب
١٧	ح × ب	ح × ح
١٨	و × ح	[illegible]
١٩	[illegible]	[illegible]
٢٠	[illegible]	[illegible]
٢١	[illegible]	[illegible]
٢٢	[illegible]	[illegible]
٢٣	[illegible]	[illegible]
٢٤	[illegible]	[illegible]
٢٥	[illegible]	[illegible]
٢٦	[illegible]	[illegible]
٢٧	[illegible]	[illegible]
٢٨	[illegible]	[illegible]
٢٩	[illegible]	[illegible]



السياسة الأسبوعية





في هـــذا العدد



العم سام الكبير القلب !

[illegible]

في هـــذا العدد

السبت ٣١ أغسطس سنة ١٩٢٩

ادارة الجريدة بشارع المناخ رقم ٣٥

تليفون ١١٤١ مدينة

رئيس التحرير المسئول
محمد حسين هيكل

السياسة الأسبوعية

السنة الرابعة العدد ١٨٣

الاشتراكات : يتفق عليها مع الادارة
الاعلانات : [illegible]

عن سنة داخل القطر ١٠٠ قرشا
خارج القطر ١٢٠ شلنا

AL SIASSA 30 Rue Manakh - Le Caire
Téléph. 1141 M.

العود الى الوطن

للدكتور هيكل بك

في آخر كل نهار ، وحين يشعر العامل بأنه قام بنصيبه من السعي للحياة والعمل فيها وبأنه لذلك أرضى ضميره واطمأن الى أداء واجبه ، لايبقى عنده بعد ذلك لذة تعدل لذة العود الى منزله بين ذويه وأهله . قد يكون في هذا المنزل ما يراه جديراً بالتحسين وبازالة ما فيه من نقص ، وقد يكون من بعض مايعني به أثناء عمله محاولة ازالة النقص وادخال التحسين الذي يوده ؛ لكن ذلك لايحول بينه وبين الشعور العميق الذي يملأ جوانب نفسه كلها بأن هذا المنزل هو موئل طمأنينته وحصن سعادته . فيه بالنسبة له كل أسباب الرضى والراحة من العناء . وفي هؤلاء الأهل الذي يحيطون به قلوب خفاقة وعواطف متبادلة يسرى منها الى قلبه والى فؤاده معنى السعادة الكاملة . لذلك هو لايعدل بمنزله هذا منزلا بالغة مابلغت روعته وفخامته ، ولذلك هو يأوي الى هذا المنزل وكأنما هو يأوي الى نفسه هو . ويجد فيه جمالا يأخذ بنفسه أكثر مما يأخذ بها كل جمال في غيره من المنازل .

هذا الشعور الذي يحسه العامل حين عوده الى منزله يحس المسافر أضعاف أضعافه حين عوده الى وطنه . ويحسه فياضاً في كل دقائق قلبه وجوارحه وفؤاده . ويحسه بالنسبة الى كل عزيز في وطنه ، وكل ما في الوطن على النفس عزيز . ولو أنك كنت مسافراً الى بلد غريب ومعك من أهل هذا البلد جماعة عائدون اليه فرأيت عيونهم تندى وتزداد بريقا حين تتبدى لهم عند ابعاد الافق أول بشائر الوطن ؛ ورأيت آذانهم ترهف كأنما تريد أن تسمع من خلال هذه الابعاد الى الأصوات المتصاعدة من ثرى الوطن ، ورأيت هذا الجمع بين الذهول باديا على الوجوه تستجمع أساريرها ذكريات ما خلفت وراءها حين سفرها ، وبين الانتباه الحاد لكل ذرة جديدة تبدو تارة أمين المجردة وطوراً للمنظار المقرب ، اذن لأدركت هذا السحر الذي لايعادله سحر ، هذا السحر السماوي الكمين في كلمة الوطن والذي يجعل أوتار النفس تهتز لسماعها اهتزاز اجلال وتقديس .

وكيف لا ! ها هي الباخرة أسبيريا تعود بنا الى مصر ويؤذن بحارتها بأنا سنكون عند الاسكندرية في الساعة الثالثة بعد الظهر ، وها نحن على طعام الغداء ولما تبد بعد أية شارة من شارات الشاطئ المنبطح في موج رماله الأزلية الخالدة . وها معنا في غرفة الطعام سيدات جرت بنا وبهن الباخرة على مسينا وعلى كريد ، فلم يتحرك فيهن عصب ولم ينبض من أوتار أفئدتهن وتر ، والذين [illegible] عقلا وأذكاهن فؤاداً ، ما كادت تلمح من خلال النافذة وهي على مائدة الطعام وهما يلوح به الافق من رمال الاسكندرية حتى برقت أسرتها ولمعت عيناها وتحركت تريد أن تترك الطعام الى سطح الباخرة كي تتابع الرمال في اقتراب آلها حتى يصبح الوهم حقيقة وحتى يدخل الوطن الى قلبها رويداً رويداً في اقتراب الباخرة من شاطئه المقدس ، فلانفلت منها لحظة من لحظات المتاع به وعبادته وحتى تضمها جميعاً في حنايا ضلوعها فتزيد بذلك مايكمن في هذه الحنايا من تقديس للوطن واعزاز اياه وتسبيح بحمده . قلت لها : رويدك يا سيدتي ، فما زال بيننا وبين الشاطئ ساعتان ، فروحي عنك واسترجعي الى طعامك . قالت : وكيف أستريح وهناك أمي وأبي وأبنائي وأهلي وكل عزيز علي ! ولم تكن هذه السيدة أشد اسراعاً الى اجتلاء بوادر الوطن من رجال لايستخفهم في الحياة شيء ، ما استخفهم هذا المنظر الساحر منظر الوطن المقترب يضمهم من جديد الى صدره بعد أن غادروه زمناً سائحين في غيره من أقطار الارض .

وظلت الأسكندرية تقترب منا فيثير اقترابها أحلى الذكريات وأعذب الأماني . فلما كنا عند أبواب الميناء اذا زورق صغير تعلو به الأمواج وتهبط خرج ركبه يحيون جلالة مليك البلاد ويهتفون بحياته وبحياة رئيس حكومته الذي وفق بعونة الله وتأييد البلاد لتحقيق آمالها بمشروع الاتفاق الذي سعى لعقده بين مصر وانكلترا فبلغ بالبلاد به مالم يسبق أحد قبله الى بلوغه . وكانت هذه أول صلة بين قلوبنا المصرية بقلوب مصرية عزيزة علينا .

وكانت هذه الصلة الأولى صلة الوطن وحده مجرداً من أسماء الافراد ومن أقدارهم الاجتماعية ومكاناتهم . فلم يكن هؤلاء الذين خطوا الينا أقارب لنا دفعتهم عاطفة الأسرة أو الصداقة الى الاسراع لتحيتنا ، بل كانوا أفراداً لانعرفهم ولا يعرفوننا ، دفعهم حب الوطن المنتدوم الى عرض البحر يهتفون لرمز الوطن ويحيون من وفقه الله للنجاح في خدمته والبلوغ به الى غاية آماله .

وأرست السفين واتصلت نظرات حنان وعطف ومودة بين راكبيها ومستقبليهم من أهلهم ومعارفهم . أنظر الى هؤلاء الشيوخ جاءوا يستقبلون بناتهم وابناءهم والى هؤلاء الصغار جاءوا يستقبلون أمهاتهم وآباءهم . ها هم جميعاً يتبادلون التحية ويستعجلون الباخرة أن ترسو حتى يتعانقوا ويتصافحوا وحتى يشعر كل واحد منهم شعوراً مادياً بقلبه يضم اليه قلب أخيه لايفصله بينهم بعد الزمان ولا المكان .

وقضيت يومين بالاسكندرية ، وعدت الى القاهرة كي أستقر في بيتي وفي مقر عملي . وانطلق القطار يقطع المزارع ويتخطى الترع ويعبر النيل عند كفر الزيات وبنها . هل يريد القارئ أن أعترف له بكل شعوري في هذه الساعات الثلاث التي استغرقها هذا السفر ؟ لقد تحرك في نفسي الفلاح القديم الذي ورث عن آبائه وأجداده حب هذا الثرى المقدس واجلال هذا النهر المبارك والاعجاب الى غاية حدود الاعجاب بجمال ماينبت من زروع ملأى بحياة كلها البهجة والنضرة . نعم ! تحرك هذا الفلاح في نفسي ، فصرت لا أبصر الا بعينه ولا أسمع الا بأذنه ولا أحس الا بقلبه ولا أشعر الا بشعوره . وأشهد لقد كنت خلال هذه الساعات الثلاث مأخوذاً بمناظر الوطن المحبوب وجمالها الباهر أكثر مما يأخذني أي مظهر من مظاهر الجمال . لقد سمعت أثناء وجودي بلندرة وباريس أجمل الموسيقى وأروعها ، وشهدت تمثيل روايات جميلة غاية في دقة الفن ، وزرت أثناء مروري بروما ونابولي آثاراً رائعة ومتاحف تحوي من جميل التماثيل والصور ما أخذني اليه واستثار مني أشد الاعجاب ، ولكن ذلك كله لم يكن شيئاً الى جانب شعوري لمشهد مياه النيل في فيضانه تتقلب موجاتها الحمراء بعضها فوق بعض في الترع وفي النهر العظيم . يا لها ذات جمال لايعد له جمال وروعة تسجد أمام جلالها كل روعة ! اني لأشعر الآن وأنا أكتب هذه السطور ان هذا الماء المملوء حياة وخصباً يجري في حنايا نفسي ويجري في عروقي مع دمي أكثر مما يجري في النهر وفي الترع المتفرعة منه . واني ما أزال لذلك أراه أمام نظري وان كنت في غرفتي أمام كتبي ومكتبي . نعم ! ها هو يموج حلواً جذاباً ساحراً بلونه الطامي وموجه المتدافع في طمأنينة بين جزوف الترع المخضرة بالحشائش تتخللها الشجيرات والاشجار ، وتنفسح من ورائها المزارع الخضراء المترامية الى حدود الأفق يكسوها الذرة والقطن وتقوم فوقها هنا وهناك المنازل الترابية اللون تأوي اليها اليد العاملة التي تنبت من هذا الماء ومن هذا الثرى كل هذه النعم التي يجود الله بها على أهل مصر . وها هو يموج في عظمة وجلال وقوة تدافع في مجرى النهر الذي اتخذ منه أجدادنا الفراعنة الهاً يعبدونه والذي يجعل من مصر جنة فيحاء بدل أن يذرها تندمج فيما يحيط بها عن جانبيها من صحراوات جرداء . أين أنت يا أنهار أوربا وأنهار العالم كله من نيلنا السعيد المبارك الغدوات الميمون الروحات ! ومع ذلك يقدس سكان روما التبر وسكان باريس السين وسكان برلين الاسبري وسكان لندرة التمس ! ما أكبر ما لأجدادنا من عذر في عبادتهم اياه واعتبارهم جنة النعيم منابعه الالهية .

أي منظر من مناظر بحيرة ليمان وسحرها البديع يعدل منظر نيلنا في سحره وبره ؟ وأي جباله في سويسرا أو غير سويسرا تعدل هذه المستويات الذاهبة الى الأفق تكسوها زروعهن وأشجارها وكلها النماء والقوة والحياة المتدفقة ! أنظر الى هذه الزرعة عن يسارنا تقوم عليها الذرة ماتزال في اول صباها زاهية مخضرة اوراقها غضة سيقانها تلتف حولها عقلها وكأنها قصبات الناي يثير منظرها في أذنك ألحانا لاندري أهي عيدان الذرة ترتلها فعلا أم هي اصوات الموسيقى المصرية الحنون تثور على أوتار فؤادك لتكمل في نفسك جمال هذا المنظر المصري الفذ الجمال . ثم انظر الى اشجار القطن منعقد آمال أهلنا الذين تراهم سمر الوجوه سود العيون حادي النظرات تلمع عيونهم ذكاء وتحدث نظراتهم عما جبلوا عليه من جد ومثابرة . وسط هذا الوطن الذي نشأت فيه والذي نسيت معه كل ما رأيت مما سواه ذكرت كلمة المغفور له فقيد مصر العظيم مصطفى باشا كامل :

بلادي بلادي ، لك حبي وفؤادي ، لك دمي ونفسي ، لك حياتي ووجودي ، انت انت الحياة ولا حياة الا بك يا مصر .

ثم ذكرت مع هذا أني أستطيع أن أجوب أقطار الارض ما شئت ، وأشهد من صور الجمال في مختلف مظاهر الفن ما حلا لي أن أشهد ، وأن أسمع من موسيقى الغرب كل ما يلذ ويطربني ، وأن أقرأ أدب العرب وأدب الافرنج كل ما يتسع وقتي لقراءته . أستطيع أن أصنع هذا وأكثر منه من مثله ثم أبقى بعد ذلك وفوق ذلك مصريا وأبقى أكثر من مصري ؛ أبقى فلاحاً قحاً سمياً ، أقدس كل ما في مصر ومزارعها من جمال ، وأقدس النيل الذي حبا مصر الحياة وحباها الجمال .

محمد حسين هيكل

الطيران

« الانطلاق »

والآن سنشرح أحد الموضوعين اللذين هما أخطر ما يقابل الطيار في حياته العملية فوق اليابسة .

من الحكمة أن يبدأ الانطلاق ببطء لتأخذ الطيارة راحتها في الانطلاق وتتجمع القوة اللازمة بالتدريج . فاذا مالت الطيارة للأجناب (ترجحت) فيجب أن توقف في الحال بتحريك قضيب الدفة للجهة المضادة للجنب الذي تميل اليه الطيارة قبل أن يتزايد الميل ويصير خطراً . وهذا الميل يحدث لعدة أسباب منها :—

(١) يحدث للطيارات السريعة جداً بسبب أن الطيار يكون ميالا لأن ينطلق في اتجاه الجهة المطلوبة مباشرة وهو على الأرض ، واتلاف هذا الميل يجب ارخاء الدفة بمجرد الشعور عليها .

(٢) عند مايفتح الطيار مفتاح البنزين يحصل أن قدمه الموضوعة على قضيب الدفة تتبع حركة يده . فمثلا اذا كان يفتحه بيده اليسرى فربما ضغط بقدمه اليسرى أيضاً قضيب الدفة في نفس الوقت . والتغلب على نتيجة مثل هذا الخطأ أن توقف الماكينة في الحال وتدار من جديد ان لم تكن قد أصبحت في الهواء .

والقول بأن تدار الماكينة تدريجياً لما يطيل في حياتها ويحفظها لأنها سريعة العطب لدقة ميكانيكيتها ولذا يجب ألا يطير بمنتهى القوة في أي الأحوال . وفي الطيران لمسافات بعيدة يجب أن يقلل السرعة من وقت لآخر ويهبط الف قدم من الارتفاع الذي هو طائر عليه من لحظة لاخرى .

[illegible]

ويقولون ان الارتفاع ينقص في جميع حالات الدوران لاسيما اذا كان في اتجاه الريح . ويقول بعض الطيارين انهم يشعرون بارتفاع في الحركات عند مايدورون مع الريح بينما يلاحظون العكس عند ما يكون اللف ضد الريح . ولكن على أي حال لايوجد نظريا اختلاف يذكر في الحركات سواء كان اللف مع الريح أو ضده .

فمثلا كم طيار تمكن من معرفة الحالة في أثناء الدوران مع الريح أو ضده ؟ اذا لم يتمكنوا من رؤية الارض كما هي الحال عند ما يكون طائراً فوق السحب . وعلى ذلك فمن الأفيد ألا يعتمد البحار الهوائي كل الاعتماد على مقياس سرعة الهواء خصوصاً أثناء الدوران لأنه اذا فرض ان مقياس سرعة الهواء كان مركبا بالقرب من طرف أحد الأجنحة — ولنقل انه الجناح الأيسر كما هو حادث في كثير من طيارات «ترا كتور» — وأردنا أن ندور لجهة اليمين فلا شك في أن الجناح الايسر يلف بأكثر سرعة من الأيمن ، وعليه فمقياس السرعة يدل على أكثر من السرعة الحقيقية للماكينة .

قلنا انه ينبغي للطيار أن يجعل مقدمة الطيارة لأسفل عند الدوران : يدفع العمود الامام ثم حركه والدفة معا للجهة المرغوب الدوران اليها . وعند مايريد أن يستقيم ثانية يرجع القضيبين الى مركزهما في الوسط . وفي بعض الطيارات يتحرك أولا عمود القيادة ليسطح الجناح المرتفع ثم يلي ذلك قضيب الدفة عند ما تستوي الطيارة . وبعد ما تكون أفقية تماما يرجع القضيبين للوسط . ولا يجوز عمل دورة ما ببطء لان ذلك ينتج منه ميل الطيارة للاجناب وتفقد سرعتها فينخفض الذنب وتفقد الطيارة توازنها . وكلما كانت الدورة سريعة احتاج الامر لتحريك عمود القيادة وقضيب الدفة بسرعة أيضاً .

وعند ما يصبح الطيار على ارتفاع ألف قدم أو ما يقارب [illegible]

أثناء الدراسة حيث هناك عدد عديد منها يخاق في دائرة محدودة المساحة ، ولو أن الطالب يعرف أين يجول بطيارته قبل أن يعتليها .

وكيفية السير في الهواء هي دائماً لجهة اليمين عند مقابلة طيارات أخرى واخلاء الطريق اذا أدركته طيارة من الخلف باستعمال الدفة . واذا تقابلت طيارتان عند زاوية فالطيار الذي يجد أن الطيارة الثانية على يمينه هو الذي عليه اخلاء الطريق .

ويجب ملاحظة أن التيار المتولد من احدى طيارتين عند مقابلتهما يؤثر في الاخرى ، ولكن هذا التأثير ليس خطراً ومن السهل تجنبه . ولهذا السبب لا يجوز أن يرسو الطيار خلف طيارة أخرى لأن أي حركة من الأجنحة تقلبه .

واذا كان الطيار طائراً بجوار أخرى فيلزم أن يحذر من اشتباك الأسلاك الجانبية بمثيلاتها في الطيارة الاخرى .

« الاضطرابات الهوائية »

يخشى عدد كثير من الطلبة اضطرابات الهواء في مبدأ عملهم . ولكن هي كلا شيء اذا كانت الطيارة من النوع الجيد فسيكون تأثيرها فقط متعباً وغريباً لديهم .

وقد دلت التجارب انه كلما ارتفع الطيار قلت هذه الاضطرابات ، فمثلا تكثر على علو ٥٠٠ قدم أو ألف قدم ولكن الهواء في المناطق الاعلى من ذلك هادئ جداً . ويقولون بوجودها على ارتفاع عشرة آلاف قدم ؛ ولكن هذا نادر الوقوع جداً . ومع كل فالصدمة الهوائية لا تؤثر في الجناح إلا بمقدار ما يحصل له من الميل في حالة الدوران . ويكثر وجود هذه التغييرات الجوية في مناطق السحب ، وكثيراً ما تنذر بقرب وقوع الصواعق .

وعلى الطالب أن يدرس جيداً في مبدأ تعلمه أوضاع الارض [illegible]

[illegible]

أسبوعيات

مسألة يراد حلها من ثلاث نقلات

وضع الاسود

وضع الابيض

قطع الابيض ثمان : شاه ، وزير ، رخ ، فيلان ، ثلاثة بيادق

قطع الأسود عشر : شاه ، وزير ، رخ ، فيلان ، خمسة بيادق

لعب في مدينة براج
دور هندى

	الابيض هاسك	الاسود روزا
١	ب — ٤ و	ح — ٣ فم
٢	ب — ٤ فو	ب — ٣ م
٣	ح — ٣ فم	ب — ٣ حو
٤	ف — ٥ حم	ف — ٥ حو +
٥	ح — ٣ فو	ف — ٢ حو
٦	ب — ٣ م	ت
٧	ف — ٣ و	ب — ٤ فو
٨	و — ٢ فو	ب — ٣ رم
٩	ب — ٤ رم	ب × ب
١٠	ب × ب	ب — ٤ و
١١	ب × ب	ف × ب
١٢	م — ١ فم	ف × ح
١٣	ب × ف	حو — ٢ و
١٤	ف × ب !	ر — ١ م
١٥	ر — ١ حم	ف — ١ فم
١٦	و — ٢ و	م — ١ رم
١٧	ف — ٥ حم	و — ٢ فو
١٨	ر — ١ م	ب — ٥ م
١٩	ب — ٥ و	و — ٤ فو
٢٠	ف — ٥ حو	رم — ١ و
٢١	فم × ح	ر × ب
٢٢	ف × ح	ب × ب
[illegible]	[illegible]	[illegible]

في البرازيل

[illegible]

ثار تحت الرماد

ماذا يهدد سلام العالم

رأى كاتب ألماني ورأى مسيو بوانكاريه

لما وضعت الحرب العظمى أوزارها فى سنة ١٩١٨ كان الكثيرون يعتقدون أنها آخر حروب التاريخ وأن البشر لن يجرؤوا فيما بعد على دخول حروب أخرى فى المستقبل . ولكن ما كادت معاهدة فرساى تمضى حتى علم الناس أن ذلك الصلح الاجبارى سوف يجعل السلام مستحيلا . وفى الواقع أنه لما ألقت ألمانيا سلاحها وطلبت عقد الهدنة تمهيداً لعقد الصلح كانت تعتقد أن اعداءها سيعاملونها بمقتضى مبادىء ويلسون الاربعة عشر . فلما فوجئت بمعاهدة فرساى دهشت لانها لم تجد لتلك المبادىء أثراً وأدركت أنها قد خدعت فى آمالها ولم يبق أمامها الآن توقيع المعاهدة مرغمة مكرهة .

وقد أدرك فيما بعد رجال السياسة الذين أعدوا معاهدة فرساى أن تلك المعاهدة لم تكن ضماناً متيناً للسلام وأن الحكمة تقضى بتعديلها بموجب العدل والانصاف . وكانت نيران الاحقاد التى ثارت فى زمن الحرب قد بدأت تخمد والحزازات قد بدأت تزول . فشرعوا فى اصلاح بعض اغلاط المعاهدة بعقد معاهدات جديدة تفسيراً لبعض مواد معاهدة فرساى أو تنقيحاً لها .

وكانت أعظم اغلاط الحلفاء أنهم بنوا معاهدة الصلح على حدود جغرافية رسموها فى ساعة الغضب وحب الانتقام . ولو أنهم تروّوا فى الامر واستعملوا الحكمة لكانت خارطة أوربا غير ما هى عليه اليوم ولكانت بعض الحدود الجغرافية تمر فى غير الجهات التى تمر فيها الآن .

ومما يدلك على شعور الحلفاء بخطئهم أنهم عرضوا على ألمانيا من تلقاء أنفسهم تنقيح بعض ما جاء فى المعاهدة وأنهم لا يزالون كلما بدا لهم سبب للتنقيح يغتنمونه فى الحال . وما ذلك الا لأنهم ينظرون الآن الى المستقبل وقد كانوا فى سنة ١٩١٨ يتذكرون الماضى فقط فيريدون الانتقام .

وقد كتب المسيو بوانكاريه (رئيس الوزارة الفرنسية السابق) مقالة فى هذا الموضوع قبيل استقالته بقليل نشرتها مجلة « الشؤون الخارجية » الاميركية وفيها شرح مسهب لعوامل القلق التى تئن منها أوربا فى الوقت الحاضر والاسباب التى يخشى منها على سلام العالم . ويؤخذ مما جاء فى تلك المقالة أن السلام المخيم الآن على العالم هو خداع ودر رماد فى الاعين وهو فى الحقيقة مهدد بعوامل خفية كثيرة تشبه جمرات نار مستورة تحت الرماد . نعم ان لدينا من الاسباب ما يحملنا على الرجاء بأن تتغلب الحكمة على العواطف فيحل السلام محل الخصام . ولكن القول بأن مستقبل السلام مضمون هو من الأقوال التى لا يقام لها وزن . والدلائل على ذلك كثيرة متوافرة . فانك لا تكاد توجه نظرك الى ناحية من أنحاء العالم حتى ترى جمراً تحت الرماد وترى عوامل الخصومة أقوى من عوامل السلام . ولا سيما فى البلاد التى [illegible]

الاغلاط التى تنطوى عليها معاهدة فرساى فان محاولة اهمالها أو ابدال معظم موادها بمعاهدات جديدة قد لا يخلو من الخطر . وأن محاولة تغيير خارطة أوربا قد يقضى على سلام العالم قضاء مبرما اذ لا بد أنه يزيد مشكلة الأقليات تعقيداً وهى مشكلة سوف تدوم الى أن تقوم الساعة .

انظر الى ألمانيا مثلا وقد خسرت بعضها من بولونيا وتقدمت حدودها الشرقية بعد ان خسرت ماخسرت من الجيش والاسطول والمستعمرات . وقد خرجت من الحرب فاقدة جانباً كبيراً من املاكها وجميع مستعمراتها . فلم يبق أمامها لاستعادة مجدها سوى أن تندمج بالنمسا . وحركة الاندماج هذه تعرف « بالانشلوس » . ومع شدة رغبتها فى هذا الاندماج ورضى النمسا عنه ترى الدول الموقعة لمعاهدة فرساى شديدة المقاومة لهذه الفكرة خوفها من ان تصبح ألمانيا أقوى مما كانت قبل الحرب . فيتجدد عهد المطامع وتسعى ألمانيا للانتقام من اعدائها السابقين . وفى الواقع أن فكرة الاندماج هذه هى فى نظر الالمان الحل الوحيد لاعادة ألمانيا الى المركز الذى كانت تشغله قبل الحرب . ويظهر أن معاهدة فرساى لا تمنع ذلك الاندماج بل هى بالعكس تبيحه على شرط أن توافق عليه جنيف — أى جمعية الامم — باجماع الآراء .

ولا تنحصر مساوىء معاهدة فرساى فى هذا الامر فقط بل هنالك مسألة بولونيا وما قد قام من النزاع بينها وبين لتوانيا . وهاتان الجارتان تكادان تكونان فى حرب مستمرة . وكذلك روسيا فانها بسبب انتزاع بسارابيا منها تكاد تكون فى حرب دائمة مع رومانيا . وقد اضطرت هذه بسبب مخاوفها ان تستبقى جيشاً كبيراً وتنفق عليه وأن تعهد الى الفرنسويين فى اعادة تنظيمه . وليس ذلك فقط . بل قد انفقت المبالغ الطائلة على انشاء القلاع والحصون الجديدة على الحدود الفاصلة بينها وبين جميع جاراتها وأن تجدد تسليح الحصون القديمة .

وهنالك الخلاف بين ألمانيا والبلجيك أيضاً فقد انتزعت هذه منها « اوبين » و « ومالمدى » والالمان لا يستطيعون ان ينسوا هذه الاهانة . وهم ينتظرون الفرصة السانحة أيضاً لانتزاع ممر « دانتزج » من بولونيا .

وفى الواقع ان مركز بولونيا ليس مما تحسد عليه . فهى حكومة انشئت من اقاليم كانت خاضعة قبيل الحرب لدول مختلفة . ولكل من تلك الدول مطامع ومصالح وكلها ارغمت على التنزل عما تنازلت عنه والسيف مصلت فوق رأسها . وفى كل من تلك الاقاليم أقليات سوف تكون شوكة فى جانب الحكومة البولونية [illegible]

معاهدة فرساى لم تزل مصدر الخطر وانما نقلته من موضعه الى موضع آخر .

وكذلك القول فى « الممر البولونى » ويقصدون به الممر المتصل بمدينة دانتزج الى البحر . ولا يزال الناس بعد مرور احد عشر عاما على انتهاء الحرب يتساءلون : ترى ماذا كانت الحكمة فى انشاء هذا الممر على الوجه الذي انشىء عليه بل ما هى الحكمة فى فصل بروسيا الشرقية عن ألمانيا . ومن رجال السياسة فريق كبير يعتقدون ان هذا الفصل لن يطول كثيراً وانه لا بد أن تتغير الاحوال .

وحجة الذين عقدوا معاهدة فرساى هى ان سكان « الممر البولونى » واقاليم بروسيا الشرقية العليا هم بولونيون بالاكثر وانه فى اثناء مؤتمر فرساى اوفدوا الرسل وألحوا على المؤتمر بأن يسمح لهم بالانسلاخ عن ألمانيا والانضمام الى بولونيا التى يعتبرونها وطنهم الحقيقى . فلم يسع الدول بازاء ذلك الالحاح الا ان تجيب اولئك المندوبين الى مطالبهم . وكان هؤلاء يقولون انه اذا لم يجبهم المؤتمر الى طلبهم فان ألمانيا ستنزل بشعبهم أفظع النقمات اذ ستعتبرهم خونة خارجين على حكمها .

ومما يدعو الى الاسف انه حتى البلاد التى كانت تئن من حكامها السابقين (والتى جعلت بموجب معاهدة فرساى خاضعة لحكومات جديدة) ليست اليوم أهنأ حالا مما كانت قبل الحرب . وهذا دليل على تلك الحكمة البالغة المتمثلة فى بيت القائل

رب يوم بكيت منه فلما
صرت فى غيره بكيت عليه

خذ البلاد والمستعمرات التى سلخت عن الحكومات التى كانت خاضعة لها وضمت الى غيرها أو جعلت تحت ذلك النظام الذى اخترعته لها معاهدة فرساى والذى لم يكن له قبلا وجود فى قاموس السياسة ونعنى به نظام الانتداب . فهذا النظام بدلا من أن يصلح الاحوال السياسية فى البلاد التى يشملها وبدلا من أن يزيد فى رخائها وسعادتها راح سبباً من أسباب القلق والاضطراب فى كل مكان . ولا أدل على صحة هذا القول مما نراه حاصلا فى سوريا وفلسطين والعراق وغيرها حيث الآمال قد خابت فى ذلك النظام اذ قد ثبت انه وسيلة من وسائل الاستعمار فى ثوب جديد . وبعد أن كان المفروض أن الانتداب يجب أن يكون لمصلحة أهالى البلاد الواقع عليها الانتداب أصبح الآن وسيلة لترسيخ سلطة الدولة المنتدبة وجعل البلاد شبه مستعمرة لتلك الدولة .

لقد كان العالم فى السنة الاخيرة من الحرب العظمى الماضية لا يسمع الا وعود الدول الحليفة ومبادىء ويلسون الاربعة عشر . فكان يخيل الى الناس أنه لن تضع تلك الحرب أوزارها حتى يبدأ عصر السلام الذهبى ويعقد صلح ثابت الاركان تزول بموجبه جميع أسباب الخصام وعوامل التفرقة بين الدول . الآن العقلاء كانوا يعلمون أن مبادىء ويلسون الاربعة عشر لم تكن قد نضجت بعد وأن العالم لا يستطيع الانتقال طفرة من عهد الاستعمار والاستبداد الى عهد الحرية والاستقلال . بل كانوا يعلمون أن الدعوة الى تحرير الامم واعطائها حق تقرير المصير لم تكن الا ذراً للرماد فى العيون [illegible]

قد نسى مبادئه ونسى انه لم يرج حكومته فى تلك الحرب الا لانهاء الحرب ولتقرير مبادئه . فكل الى أنه انما جالس فى ذلك المؤتمر للاشتراك فى القضاء على ألمانيا وحليفاتها ولمعاقبتهم على ما كان الحلفاء ينسبونه اليهم . نعم نسى كل شىء ولم يرى امامه الا ممثلى نظام عسكرى يجب خضد شوكته ومقاومة مروجيه . وكان يجب عليه فى الوقت ذاته ان يتذكر مبادئه التى جاهر بها طويلا وانه انما حضر ذلك المؤتمر للمساعدة على بناء العالم من جديد على انقاض العسكرية والاستعمارية والتداعيتين .

وليس ذلك كل ما فى معاهدة فرساى من الشوائب . بل هنالك أمور كثيرة لا تخفى على العقلاء الذين يعلمون انها بزور لحروب كثيرة مقبلة الا اذا تمسكت الدول من ملافاتها قبل وقوع المحذور .

فهل تصغى أوربا لصوت الضمير ولعبد النظر فى معاهدة فرساى لتنقيحها تنقيحاً يضمن مصلحة السلام ؟ أم تستمر السياسة المبنية على مبدأ « الحق هو القوة » ؟

لا شك أن مواصلة سياسة كهذه ستكون تمهيداً لحروب مقبلة

شذرات

انكم لن تسعوا الناس باموالكم . فسعوهم باخلاقكم
حديث شريف

***

ما آلم نفسى غير الاثنين : غنى الفقر وعز ذل . وحكيم تلاعبت به يد الجهال
أفلاطون

***

لن اصلاح لا يبدأ فيه باصلاح الامرأة لن يتم
قاسم أمين

***

شربين
محمد عبد الحق
المحامى الشرعى

سويسرا

نبذة عن أحوالها وأهلها وتكاليف الحياة هناك

قد يلذ للقارىء معرفة ماهية سويسرا وأحوالها وما عليه أهلها بسبب وقوعها فى وسط أوربا بين كبرى الدول ذات النشاط المستمر والغيرة التى لا تقف عند حد (ألمانيا . فرنسا . ايطاليا . الخ) . واذن فسأحاول بمقالى هذا ان ألم بأطراف الموضوع تعميما للفائدة .

سويسرا كما يعلم الجميع بلاد جمهورية لها نظام شبيه بذلك النظام المعمول به بالولايات المتحدة الامريكية اذ كل قسم يكاد يختلف عن الآخر فى عادات قومه وقوانين حكومته . ولقد تصدمك تلك الحقيقة اذا عشت مدة فى بلد من أبلادها وطولبت بدفع ضريبة الاقامة ثم شاءت الظروف أن تقيم فى بلد آخر فانك لابد شاعر بالفرق بين الضريبتين : فى جنيف يدفع المرء ٥ و ١٣ فرنكا سنويا (الفرنك ٣٫٨٥٧٥ قرش صاغ) أما فى لوزان فستة فرنكات فقط بينما هى فى زوريخ زيد عن ذلك وهكذا دواليك . ولاهالى كل قسم من أقسامها عادات خاصة ولغة خاصة ونشاط خاص الى ناحية من نواحى الحياة . ففى الشمال يتكلمون الالمانية ويشتغلون بالصناعات على العموم ولا يعاملون السياح لسويسرى من أى قسم آخر أن يعمل فى قسمهم الا ماندر وقد يكون ذلك لمتاخمتهم لألمانيا . أما الجنوب فلغتهم الايطالية واشهر حرفهم الزراعة كايطاليا وهم غير ميالين للاغتراب وقسمهم أفقر أقسام سويسرا يعمل فى قسمهم ابناء القسم الشمالى بدون مبالاة ولقد يغالو ابن الشمال فيكتب اسم محله ونوع عمله بلغته الالمانية بينما هو لا يسمح لغيره بذلك فى قسمه . أما القسم الغربى فلغته الفرنسية والقوم فيه رقة كشبيلتها بفرنسا والملاهى فى هذا القسم أكثر مما فى غيره . ولقد تدهش اذا علمت أن أغلبية (الجرسونات) فى ذلك القسم وغيره هم من سويسرا الالمانية . ولهذه الصناعة مدارس خاصة فيها يتلقون علومها لمدة عامين أو ثلاثة .

يؤم سويسرا فى كل فصل من فصول العام آلاف من السائحين لشهرتها العالمية بتلك المناظر الطبيعية التى تجذبهم من كل صوب وحدب للتمتع بها أو للاستشفاء بقنائع جبالها المكسوة بالثلج صيفاً وشتاء ويبلغ ايراد الحكومة الجمهورية من هذه الزيارات سدس الدخل العام وهو مورد رزق يكاد يكون ثابتاً لتنظيمهم وتسهيلهم كل أسباب الراحة لمن يؤم بلادهم . فهل لمصر أن تنشط قليلا لتزيد دخلها من هذه الناحية نسبياً .

المعيشة فى سويسرا على العموم غالية عنها فى فرنسا أو ايطاليا وأقل منها فى ألمانيا ولا يحسن بمصرى يود الذهاب للتعلم هناك أن يعيش فى لوكاندة أو بنسيون فالعائلات تقبل بصدور رحبة أن يقيم معها فرد أو فردان أو ثلاثة فتلك عادة القوم هناك وفى ذلك ما فيه من راحة واعتناء يشعر المرء بأنه بين أهله وعشيرته كما أنه أقل نفقة وأحفظ فائدة فيه أن لايكون هناك مجال لأن يتكلم بغير لغة أهل البلد . ففى اللوكاندات أجانب كثيرون . وبذلك يتقن لغتهم ويعرف عاداتهم عن قرب ويعرفون ان تخلل عليه الامر دون تضييع وقته فى التحدث الى من ولغة بلغته العربية اذا تواجد [illegible]

الذى يود الاقامة فيه انه يريد ان يعيش عند عائلة بالقرب من مكان عمله طالبا شروطهم فلايلبث ان تصله الردود سريعة عديدة له ان يختار كما يحلو له . ولا تزيد اجرة الحجرة فى عائلة من العائلات عن ٩٠٠ فرنك شهريا كما ان هناك حجراً بالاربعين فرنكا ويرجع ذلك الحى وللأثاث الموجود بها . اما النظافة فهى على العموم بالغة حدها الاقصى فى مساكنهم وغير مساكنهم . والامانة من اخص مميزاتهم التى لهم ان يتباهوا بها أما كرمهم او ضيافتهم فهو خير مما عند غيرهم بممالك اوربا ولكن ليس معنى ذلك انه بالغ حدا يعادل ما امتاز به الشرق على وجه العموم .

لنعد اذن من جديد الى تكاليف المعيشة هناك بعدا تطرق بى البحث الى ناحية اخرى فاقول ان معظم المنازل تعطى الفطور بمايقرب من الخمسة والعشرين فرنكا أما الغداء أو العشاء فيمكن أخذه بالمسكن الذى يقيم به أو بمطعم خاص أو عام والقيمة تتفاوت مابين اثنين وأربعة فرنكات للأكلة الواحدة لطالب معتدل . وهناك أيضاً مطاعم معروفة لجميع الطلبة المصريين بسويسرا يدفع فيها كل منهم من ١١٠ الى ١٥٠ فرنكا شهريا للغداء والعشاء . أما المصروف الشخصى فانى أتركه للوالد يقدره لولده أو الأخ لأخيه وحسب استعداد الشخص وميوله على أن لايغيب عن ذهن كل ان أثمان الحاجيات أغلى منها فى مصر كالملابس وأجور الملاهى كالتياترات والسينما الخ . . الخ . . قد تبلغ الضعف أو يزيد وكذا أثمان الطلبات البسيطة بالمقاهى

فاتنى ان اذكر الى جانب تكاليف المعيشة للطالب قيمة الغسيل والكى وهى وايم الحق باهظة بالنسبة كما يدفعه فى مصر ، فالبدلة يدفع لكيها أربعة فرنكات « ستة عشر قرشاً » وربما يجد بعد طويل بحث من يكويها باثنين ونصف أى عشرة قروش تقريباً (دون تنظيف طبعاً فلذلك له اجر خاص) . اما غسل القميص وكيه فبأربعة قروش والمنديل من قرش صاغ الى قرش ونصف حسب قماشه . والفانلة قرشين ونصف الخ . . الخ . . اما اجرة الاستحمام للمرة الواحدة فمن فرنك ونصف الى ٣ فرنكات ونصف فرنك استحماما عاديا ولا تنس ان ثلاثة أرباع المساكن هناك خالية من الحمامات فان أردت الاستحمام فهناك بمعظم الشوارع حمامات عمومية منشأة بمعرفة الافراد أو الحكومة . ومسألة قص الشعر وحلق الذقن من أغرب ما هنالك فقد تدفع من ٢ ونصف فرنك الى ٢٥ فرنكا وذلك يرجع الى طلباتك والى تعددما يضعه فوق الشعر أو الذقن أو الاظافر .

لعلنى أكون قد ألممت ببعض الشىء بأطراف الموضوع من جهة تكاليف المعيشة للطالب ولنعد اذن فنلقى نظرة عامة على ما فى سويسرا مما يحسن نقله للقراء زيادة فى الاطلاع والخبرة الفكرية مما هنالك من غريب يلفت النظر من يزورها لأول مرة . ولعل أول تلك الاشياء هى السكة الحديدية فالذاهب الى سويسرا عن طريق ايطاليا أو فرنسا لابد أن يلحظ انها تسير فى جميع جهاتها بالكهرباء وفى ذلك ما فيه من نظافة وسرعة . الا أن أجورها غالية جوداء بيانها فى فرنسا ومصر أيضاً والتدليل على ذلك أعطيك مثلا [illegible]

تبلغ ٥٥ كيلومتر تقريباً يقطعها القطار السريع فى ٥٠ دقيقة وثمن التذكرة بالدرجة الثالثة هى ١٠ فرنكات ذهاباً وإياباً أى ٤٠ قرشاً تقريباً . والمسافة من مصر الى بنها تعادلها وأظن ان ثمن التذكرة لن يبلغ بالدرجة الثانية مثل هذه القيمة ولقد أخذت تذكرة الدرجة الثالثة لان معظم الشعب هناك يركبها فهى آية فى النظافة وشتان بينها وبين نظيرتها بالسكة الحديد المصرية .

ولا يفوتنى وأنا أتكلم عن سكة حديد سويسرا أن أذكر والألم يملأ نفسى ان البون شاسع بيننا وبينهم اذ ان أسباب الراحة لديهم متوافرة على أكملها وانك لاتشعر والقطار ينهب الارض نهبا بالأتربة المتصاعدة كتلك التى تعمى الابصار بالسكة الحديد المصرية وما ذلك الا لان القوم هناك قد زرعوا جانبى السكة الحديدية بالحشائش بل بالزهور المختلفة الألوان . أما عندنا فرغم خصوبة أرض مصر ورغم ما على جانبى السكة الحديدية من ترع لارى ومع وجود الحشائش الكثيرة فاننا لم نفكر بعد فى ذلك الأمر البسيط والذى يصيبنا رغم بساطته بأفدح الخسائر . فى كل هذا التهاون ولن يكفانا ذلك قتيلا ، بل سيغنينا عن مداواة أعيننا ، وسيغنى السكة الحديدية عن تجديد جلد المقاعد مراراً عديدة بل وقبل كل شىء سيحسن السمعة المصرية .

وعلى ذكر السكك الحديدية وما هى عليه من نظام أرجو أن أعرج نوعا ما على السكك الزراعية هناك فهى غاية فى النظام والنظافة ولن تجد بها تلك الفوضى المنتشرة فى سككنا الزراعية التى يأبى الفلاح المصرى الا أن يثور دائماً وأبداً عليها . فهى هنا رغم قذارتها وما على جوانبها من أكوام عالية من التراب تعوق السير تجدها مقطعة على ابعاد عديدة مختلفة مما يشوهها . ولكن من اللوم فى ذلك ؟ الله يعلم هل هو الفلاح المسكين الجاهل الذى لم يتلق من العلم شيئاً أم غيره . . . . أقول جاهل ولم يتلق من العلم شيئاً لان زميله فى الحرفة هناك متعلم أكثر منه بمراحل . ويكفى ان تلقى نظرة على مزارعه وما بها من نظم هندسية علمية لتعلم أن الثقافة هناك ليست مقصورة على فئة دون أخرى وليست محجوزة بالمدن دون القرى . ولقد تجلس الى الفلاح هناك فيحدثك فى شؤون الدنيا جميعها حديث مطلع بصير .

أما وقد تطرق بى البحث الى ناحية الطرق فلنعد اذن الى الكلام قليلا عن شوارع سويسرا على العموم فهى حقاً نظيفة جداً مهما اختلف نوع رصفها ، فهى فى بعض المدن بل وبعض الاحياء بالقوالب الخشبية بينما هى فى الحى الآخر بالزلط أو البلاط أو الاسفلت . ولن يكون ذلك الاخير الا فى المدن ذات الشوارع السطحة ، أما الشوارع الصاعدة والهابطة فبالبلاط أو الزلط فقط .

ولقد تدهش جداً اذ تجد حوارى تكاد تضيق عن مثيلاتها بالقاهرة ولكنها آية فى النظافة وتنار بالكهرباء . وليست المنازل كى هناك من ناطحات السحاب كما بأمريكا ولكنها عادية كما فى مصر ، بل لدينا نحن أفخم مما لديهم بكثير ، وذوقهم فى البناء ينعدم مادام هناك بحث عن المادة ، ولعمرى لن تجد بسويسرا الا ويوجد من مسكنه عدة حجر محفظا له بحجرة أو اثنتين على الأكثر وحاجتهم [illegible]

فلن تمر الا فى ممر بسيط وقد فتحت الحجر المصفوفة على يمينه ويساره ، وان تجد الصالات البديعة المصرية والمداخل الفخمة ، ومع على كثرة عدد الساكنين فى كل شقة أو دور وعلى اختلاف أوطانهم ولغاتهم يحافظون جميعا على النظام التام ان طوعا وان كرها فلن تسمع بعد الساعة الحادية عشرة مساء أية حركة ولن تسمع شخصاً يدير فونوغرافا فى تلك الساعة أو يلعب على البيانو ، ولن تسمع شخصاً يغنى فى الطريق فان ذلك كله من المخالفات الكبيرة المعاقب عليها بشدة .

قلت فى بدء كلمتى هذه : ان لكل بلد أو قسم بسويسرا عادات وميولا خاصة يتميز بها عن المدن الاخرى . ولقد تلاحظ ذلك فى ترامواياتهم أيضا فهو فى جنيف ملون بالاخضر بينما هو فى لوزان وقد اصبح اصفر ، اما فى برن ونيوشاتل فأحمر وفى مونترو ازرق وفى زيوريخ سمنى تقريبا وبرنت رمادى . وعلى ذكر الترام أرى انه يحسن ان اذكر شيئاً عنه وعن اجرته : عربات الترام هناك درجة واحدة يركبها الغنى والفقير والرجل مع المرأة طبعاً فهم ليسوا بمصر . اجورها غالية عنها فى مصر فقد تبلغ قيمة التذكرة لمحطة واحدة فى بعض المدن ٥ سنتيمات بينما هى للمحطة الواحدة بعشرة سنتيمات فى غيرها (١٠ السنتيم عبارة عن ٤ ملاليم تقريباً) فتصوركم يدفع المرء اذا أراد الذهاب لمسافة كتلك التى بين مدرسة الصنائع والامام الشافعى بمصر . والديموقراطية الحقة متجلية فى الشعب السويسرى بأجلى مظاهرها فالكل على قدم المساواة لافرق بين عامل ووزير أو غنى وفقير . يحدثك المرء منهم بكل احترام وبدون غطرسة مهما كنت وكان من كزك مفاهيم للجميع . ليست هناك أمكنة لفئة ممتازة فالكل سواء . ترى العامل نهاراً يكد ويعمل فاذا انتهى من عمله لبس حلة نظيفة وذهب يتلهى هنا وهناك كغيره من أبناء جنسه . ولا تنس أن أجور العمال هنا باهظة جداً فأقل عامل فى أحقر حرفة يتناول مايقرب من الستة القروش فى الساعة الواحدة ويعمل ٨ ساعات يومياً محسوب ضمنها زمن مسيره من والى منزله حتى نقطة عمله .

قل عن اختلاط الجنسين ما شاء لك تصورك فهو هناك كما بباقى بلاد أوربا فتلك عادة القوم وهذا مما لا يتفق وعاداتنا الشرقية . واذن فلأترك الكلام على هذه النقطة مكتفياً بذكر ذلك .

ولا يفوتنى أن أذكر قبل أن أختم كلمتى هذه أن أمام المصرى الذى يود زيارة سويسرا (لمجرد الزيارة أو للعلم أو للاستشفاء) طريقان لدخولها ، فاما عن طريق ايطاليا ماراً بجنوا أو تريستا ، أو عن طريق فرنسا ماراً بمارسيليا . وأرى أن أكثر هذه الطرق هو طريق تريستا فميلانو فداخلية سويسرا . ويمكن قطع المسافة من ١٣ الى ١٦ ساعة تبعاً لطول الطريق أو قصره .

وقد انضم لفيف من أبناء الغرب مع بعض المصريين هناك فألفوا جمعية تسمى (السترا) أو جماعة التفكير الحر ، وهى مكونة من أبناء عدة دول غايتها المعاونة الفكرية والدعاية للسلام واسداء النصح والارشاد لكل من له حاجة علمية أو غير علمية فى أية مملكة من الممالك التى لها أعضاء بها ، وأرى أن كل من يود أية معلومات فليكاتبها وأسمها بلوزان بصندوق البريد رقم ٢٤٤٣٩ والله الموفق أن يهدينا جميعاً سواء السبيل [illegible]

مؤرخو مصر الاسلامية

أبو المحاسن بن تغري بردى

مؤرخ مصر ومؤرخ النيل

للاستاذ محمد عبد الله عنان

— ٢ —

لم تحمل لمياه العيش ورفاهة الوسط اللتان نشأ فيهما أبو المحاسن وتفتحت مواهبه وخلاله دون خوضه غمار رواية شاسعة شاقة ، بل لقي المؤرخ الأمير في ظلهما فراغا ونشاطاً وصفاء مكنته من الدرس المستفيض والتحقيق الهادىء . وكان لهذا الدرس والتحقيق ميدان واحد تقريباً هو تاريخ مصر الاسلامية ؛ فكان هذا التخصص عاملا آخر في اتقان الرواية وصقلها ودقتها . وكانت نتيجة هذا العمل المنظم المتواصل ، غزيرة باهرة ؛ ففي آثار ابن تغرى بردى يلقى تاريخ مصر الاسلامية حتى أواخر القرن التاسع موسوعة نفيسة ، ويلقى نيل مصر سجله الامين ، وبهذه الآثار يرتفع أبو المحاسن الى صف الأكابر بين مؤرخي الاسلام .

وأشهر هذه الآثار وأجلها هو بلا ريب تاريخه العام لمصر الاسلامية ، المسمى « بالنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » فهو تاج جهوده وهو خاتمتها ، وفيه يودع أبو المحاسن ثمار بحثه الناضج ؛ وسيرة عمره حتى أيامه الأخيرة . والظاهر أن فكرة كتابة تاريخ عام لمصر لم تخطر للمؤرخ إبان مباحثه الاولى أو أنه لم ينفذها الا في أواخر أيام حياته بعد أن لبث أعواماً طويلة يعني بنواح أخرى من تاريخ الاسلام وتاريخ مصر . وأول آثاره الضخمة فيما يظهر معجم تراجمه المسمى « بالمنهل الصافي ، والمستوفى بعد الوافي » . والوافي هو معجم الصفدى الشهير (١) ، والمنهل ذيل أو تكملة له . وكما ذيل ابن شاكر وفيات الاعيان ، وهي موسوعة ابن خلكان ، بفوات الوفيات ، فكذلك ذيل أبو المحاسن موسوعة الصفدى بالمنهل الصافي . والمنهل كتاب ضخم ، يترجم فيه أبو المحاسن أعلام الاسلام ، منذ أوائل الدولة التركية ويبدأ بالمعز ايبك التركماني زوج شجرة الدر وملك مصر (٦٤٨ — ٥٥ هـ) أعني منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي الى منتصف القرن الخامس عشر . ويفيض بوجه خاص في سير أعلام مصر والشام التي كانت يومئذ ولاية مصرية من ملوك وساسة وجند وعلماء وأدباء ، ويرتبه على حروف المعجم (٢) . ويتقدم فيه الى القارىء بفاتحة بليغة يشكر الله فيها على « ان أخرنا عن كل الامم » ، وتلك لعمرى من أجل المنن وأتم النعم « للشاهد ما تقدم من آثارهم ، ونعاين منازلهم وديارهم ، ونسمع كما وقعت وجرت أخبارهم » . ويقول انه وضع كتابه « غير مستدعى الى ذلك من أحد من أعيان الزمان ، ولا مطالب به من الاصدقاء والاخوان ؛ ولا لتأليفه وترسيمه من أمير ولا سلطان ، بل اصطفيته لنفسي وجعلت حديقته مختصة بيانعات غرسي ؛ ليكون لى فى الوحدة جليساً ، وبين الجلساء مسامراً وأنيساً » .

والمعنى الذي يقصده المؤلف بهذه التقدمة ظاهر . فهو لم يتأثر فى مباحثه وروايته بملق أو هوى أو تحريض ، بل أودع سير العظماء القريبين من عصره والمعاصرين له مستقلا حراً فى التقدير والحكم . وفى تراجم العظماء دائماً موضع للملق والاهواء ، خصوصاً متى كانوا معاصرين .

وكما أن أبا المحاسن ألهم الى وضع المنهل بمعجم الصفدي ، فكذلك ألهمه أستاذه المقريزى بكتابه (السلوك فى معرفة دول الملوك) الى وضع تاريخ آخر يبدأ فيه حيث انتهى المقريزى . وكتاب السلوك هو تاريخ دول المماليك فى مصر الى سنة ٨٤٤ ، أعني الى قبيل وفاة مؤلفه بأشهر قلائل . وقد خطر لابي المحاسن أن يتم رواية أستاذه فوضع كتاب (حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور) مبتدئاً فيه بسنة ٨٤٥ هـ أعنى عام وفاة أستاذه ؛ ودون فيه تاريخ مصر باسهاب حتى سنة ٨٧٤هـ ، وهو عصر الملك الظاهر جقمق العلائي ، ورتبه على السنين والأشهر والأيام . وفى مقدمته يعرب عن عرفانه واجلاله للمقريزى ، فيسميه « شيخنا الامام الاستاذ ، العلامة ، المتفنن رأس المحدثين وعمدة المؤرخين » . كما انه يعرب عن مثل هذا الاجلال فى ترجمة استاذه فى المنهل . ويقول انه اراد بوضع « حوادث الدهور » ان يحيي سنة استاذه . ولما كان المؤرخ يحيل قارئه فى هذا الكتاب فى تفاصيل التراجم ، الى المنهل الصافى ، فمن الواضح انه قد كتب هذا قبل ذلك (١)

على أن تاريخ مصر العام أو « النجوم الزاهرة » هو كما قدمنا أجل وأنفس ما أخرج المؤرخ . كتبه بعد أن كتب المنهل الصافي وحوادث الدهور ، لانه اذا كان يحيل فى الاخير على الاول ، فانه فى النجوم الزاهرة يحيل على حوادث الدهور (٢) . ومعنى ذلك ان أبا المحاسن كتب « النجوم الزاهرة » بعد ان ملك ناصية الرواية ، وأينع درسه وبحثه . والنجوم الزاهرة موسوعة كبيرة فى تاريخ مصر الاسلامية وتقلبات نيلها ، منذ الفتح الاسلامى (سنة ٢٠ هـ) الى سنة ٨٧٢ هـ (سنة ١٤٦٨ م) أعنى الى قبيل وفاة المؤلف بعامين فقط ، وهو أتم وأطول تاريخ لمصر الاسلامية . ويلخص المؤرخ ، فى مقدمته محتويات مؤلفه وطريقة كتابته فى العبارة الاتية : « استفتحته بفتح مصر . وعلى أى وجه فتحت ... وأجمع فى ذلك أقوال من اختلف من المؤرخين وأهل الاخبار ... ثم اذكر من وليها من يوم فتحت ، وما وقع فى دولته من العجب ، ثم اذكر أيضاً ما أحدث صاحبها أيام ولايته من الامور ، وما جدده من القواعد والولايات فى مدى الدهور . ولا أقتصر على ذلك بل أستطرد الى ذكر ما بنى فيها من المبانى الزاهرة كالميادين والجوامع ومقياس النيل وعمارة القاهرة . على أنى أذكر من توفى من الاعيان فى دولة كل خليفة وسلطان باقتصار » . هذا ما يصف به أبو المحاسن مادة مؤلفه فى المقدمة القصيرة التى يفتتحه بها ، والتى يصوغها فى نفس المعانى التى صاغ فيها مقدمة « حوادث الدهور » اذ يشكر الله على « أن أخرنا عن كل الامم ... فنخبر بذلك من تأخر عصره من الاقوام ، بافواه المحابر وألسن الاقلام ، ليقتدى كل ملك يأتى بعدهم بجميل الخصال » . ثم يقول انه وضع كتابه غير مستدعى الى ذلك من أمير أو سلطان ، « بل ألفته لنفسى ؛ وأينعته بياسقات غرسى ، ليكون لى فى الوحدة جليساً ، وبين الجلساء مسامراً وأنيساً ، ولا أنزهه من خلل وان حوى أحسن الخلال ، ولا من زلل وان مورده الزلال » . وهو يقصد أن يؤكد أنه لم يكتب النجوم الزاهرة ، وخصوصاً القسم الذى يتعلق منه بعصره ، ليجعل منه وسيلة لتحقيق الاهواء أو تدوين ما يراد أن يدونه البلاط أو كبار الزعماء والجند والولاة ، استجلابا لنفع أو قصداً الى تشهير أو أذى . والحقيقة أن أبا المحاسن يقدم الينا ، فى النجوم الزاهرة ، موسوعة حافلة بحوادث التاريخ الاسلامى بوجه عام ، وتاريخ مصر بوجه خاص ، رتبت على السنين والاشهر والأيام . ويبدو هذا التعميم واضحا فى القسم الاول أيام كانت مصر ولاية اسلامية فى عهد الخلفاء أو بنى أمية أو بنى العباس ، ولكن المؤرخ يتقدم نحو الاختصاص فى تاريخ مصر والتوسع فيه ؛ حتى اذا بدأت دول مصر الاسلامية المستقلة بلغ هذا التوسع حد الافاضة ، ولا سيما فى عصر الدولة الفاطمية ، أول وأعظم الدول المستقلة التى تربعت على عرش مصر . وقد خلب هذا المجتمع الفاطمى الباهر لب أبي المحاسن كما خلب لب استاذه المقريزى ، فافاض فى أصل الخلفاء الفاطميين ، وبلاطهم ، ورسومهم فى القصر وفى الركوب وفى الاحتفالات العامة ، وفى الحكم وفى الخطابة ؛ ثم تناول فيها كل الروايات المختلفة السالفة ، وأورد عن مقتل الحاكم بأمر الله شذوراً طويلة صيغت فى شكل القصة ، وفيها يصف نفسية الحاكم ليلة مقتله وكيف خادعته العواطف المختلفة بعد أن خروجه فى تلك الليلة ، وكيف ورث أخته ست الملك ، الخلفاء الفاطميين ؛ تجرى قلم المؤرخ بعرض جزل شائق ربما كان أبلغ قطعة فى مؤلفه . أما العصر الذى عاش فيه المؤرخ فانه يبلغ فى مؤلفه أوفر حظ من الشرح والافاضة ، ويتخذ فى أواخر كتابه صورة السجل اليومي لا تفوته كبيرة أو صغيرة . وقد عاش ابن تغرى بردى فى عصر حافل بالسلاطين وعاصر أكثر من عشرة سلاطين من عهد الملك الناصر فرج الى عهد الملك الاشرف قايتباي ، وشهد أكثر من ثورة سياسية وأكثر من محنة عامة . وفى أواخر حياته انقض الوباء على مصر فحمل من أهلها مئات الالوف وجدد بذلك عهد المحن والمصائب السابقة ، وأصيب المؤرخ نفسه بالوباء حسبما يذكر ولكنه نجا (١) ، وهو يصف فتك الوباء ، وعدد الموتى ، ومناظر الخراب فى عبارات تنم عن الاستكانة والروع والالم . ومن المحقق ان هذه الرواية المعاصرة هى أنفس ما يحتويه أثر المؤرخ خصوصا اذا ذكرنا ما كان له من وثيق الصلات بالبلاط والكبراء وأهل الرأى ، ومن مصادر التحقيق والرواية ، وما كان يعنى به من المشاهدة الواقعة فى كثير من الحوادث ، وهو ما يذكره فى مواضع كثيرة .

وللنيل مصر من عناية أبي المحاسن حظ أوفر ، فهو يحصي تقلباته فى الوفاء والنقص عاماً فعاماً من سنة الفتح (٢٠ هـ) الى سنة ٨٧٢ ، معتمداً فيما تقدم من العصور على طائفة كبيرة من الرواة والمؤرخين وخاصة ابن عبد الحكم وابن زولاق وابن ايبك ، والمقريزى ، وبذلك يقدم لنا أتم جدول عن تقلبات النهر العظيم مدى ثمانية قرون ونصف قرن .

ويعرض أبو المحاسن تاريخ مصر فى بيان سلس جزل ، يرى ماثلا فى أقسامه الاول ، غير أنه فى القسم الاخير منه ، أعنى القسم المعاصر ، ينحدر الى شىء من الركاكة . والسر فى ذلك لا يرجع الى ضعف فى بيان المؤرخ ، ولكنه يرجع الى حوادث العصر ذاتها والى غلبة الاساليب الفنية يومئذ فى التعبير عن شؤون الحرب والسياسة ومهام الدولة . فالمؤرخ انما يخرج صور عصره بأساليب عصره ولغة عصره ، وهى مزية فى الواقع لا تمس معيار الحكم على آداب العصر (٢) .

(١) راجع النسخة الفتوغرافية من كتاب حوادث الدهور المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٩٧ تاريخ ، وهى فى مجلدين كبيرين . ويلاحظ ان السخاوى قد وضع كتابه التبر المسبوك ذيلا ايضاً لكتاب السلوك ، وفيه يتناول حوادث التاريخ المصرى باسهاب من سنة ٨٤٥ الى سنة ٨٥٧ هـ وهو نفس العصر الذى يتناوله حوادث الدهور .

(١) هو « الوافى فى الوفيات » لصلاح الدين الصفدى . وهو أكبر موسوعة عربية للتراجم ويبلغ بمجلداته نحو الخمسين . غير انه لا توجد منه للاسف نسخة كاملة فى مكتبة واحدة ، بل توجد منه أجزاء متفرقة ناقصة فى عدة مكاتب فى الشرق والغرب .

(١) النجوم الزاهرة — القسم الثانى من الجزء السابع (طبعة جامعة كليفورنيا) ص ٥٤١

(٢) لا تزال آثار ابن تغرى على نفاستها مخطوطات مفرقة فى مكاتب الغرب والشرق ، ولم يشهد الضياء من مؤلفاته الكبيرة سوى « النجوم الزاهرة » . ففى منتصف القرن الاخير [illegible] المستشرقان الهولنديان جوينبل وماتس [?] هذا الأثر النفيس ؛ فنشرا منه القسم الاول بين سنتي ١٨٥٢ و ٥٣ ، ثم نشر جوينبل وحده قسما آخر فى سنة ٥٧ . ويشتمل القسمان على تاريخ مصر من الفتح الى سنة ٣٦٥ هـ ، ثم توفى العلامة جوينبل دون اتمامه . وقضى [illegible] ستين عاما أخرى . وفى سنة ١٩٠٨ [illegible] الثقافات السامية بجامعة كاليفورنيا الامريكية [illegible] وعهد بذلك الى المستشرق الامريكى [illegible] أيضاً هذا المستشرق [illegible] الزاهرة بعد عشرين عاماً من المراجعة والتحقيق . وقد اعتمد فى نشره على مخطوطات خمسة منها مخطوط بخط المؤلف نفسه محفوظ فى مكتبة باريس ، واستعان فى تصحيحه وتحقيقه بجماعة من اعلام المستشرقين المعاصرين منهم العلامة الالمانى الاكبر نلدكه ، وجوتهال ، وسيبولد . ويستغرق القسم الذى نشره سبعة أقسام أو أجزاء كبيرة يشتمل كل منها على عدة أقسام فرعية . أما القسم الذى أخرجه العالمان الهولنديان فيستغرق جزءين كبيرين ، وبذلك تكون مجلدات النجوم الزاهرة تسعة تشمل نحو اربعة آلاف صفحة . ويتخلل هذه الطبعة تحقيقات ومقارنات وفهارس عدة تجعل لها قيمة خاصة .

ومما يدعو الى الغبطة أن دار الكتب المصرية فرغت أخيراً فى طبع النجوم الزاهرة ، واستطاعت أن تنجز الجزء الاول منه منذ أيام قلائل ، مشتملا على تاريخ مصر منذ الفتح الى سنة ١٣٨ هـ ومذيلا بكثير من الملاحظات والفهارس المفيدة ، ومصدراً بمقدمة قيمة تجمع عدة تراجم وملاحظات عن المؤلف وعن جهوده وآثاره . ورجاؤنا أن يمضى القسم الادبى بدار الكتب فى اتمام هذه المهمة الجليلة بكل ما وسع من نشاط ومثابرة فيحيى لنا بذلك مصدراً من أجل مصادر تاريخنا القومى .

وللمؤرخ غير ما تقدم من هذه الموسوعات الجليلة عدة مؤلفات أخرى ، منها « مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة » ، والذيل الشافى على المنهل الصافى (وهو مختصر المنهل) ، والبحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر ، وكلاهما فى التاريخ وبالأخص تاريخ مصر ، وحلية الصفات فى الاسماء والصناعات وهو مجموعة أدبية تاريخية . وتوجد هذه الكتب أو أجزاء منها مخطوطة فى بعض دور الكتب ، ولم يطبع منها سوى مورد اللطافة ، طبع فى كمبردج فى سنة ١٧٩٢

***

هذه سيرة المؤرخ الأمير ، وهذه خلاله الرفيعة ومواهبه البارزة ، وهذا جهوده التاريخى ، غزير قوى باهر يؤثر به تاريخ مصر وطنه . وقد لبث أبو المحاسن عماد هذه المباحث التاريخية الشاسعة التى أخرجت على يد المقريزى أينع زهورها ، مدى ثلث قرن حتى توفى فى شهر ذى الحجة من سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) بعد أن لبث أشهراً يعانى من المرض أروع الآلام .

على أن هذه الخلال الباهرة وهذه المباحث اليانعة كانت موضعاً لحملة مفكر عظيم معاصر للمؤرخ هو شمس الدين السخاوى ، وهو أيضاً من أعلام المدرسة التاريخية المصرية . فان السخاوى يحمل فى كتابه « الضوء اللامع » على ابن تغرى بردى حملة قاسية ، وينتقص من خلاله ومواهبه وفضله ، ويذهب الى حد رميه بالحماقة ، والادعاء والجهل وتزييف الحوادث (١) . وفى الضوء اللامع يترجم السخاوى أعيان القرن التاسع الهجرى ، أعنى القرن الذى عاش فيه ، فى صور قوية بارزة ، وهى من أبدع الصور النقدية التى تحتويها الآداب التاريخية العربية . بيد أن الذى يدعو الى الدهشة هو أن روحاً عامة من النقد اللاذع تغلب على هذه التراجم وتذهب فى أحيان كثيرة الى حد الهدم . ويبدو هذا الميل المضطرم الى هدم الرجال والخلال واضحاً بالنسبة لجماعة معينة من الاشخاص ، هم الجماعة التاريخية التى التفت حول المدرسة المقريزية أو اتصلت بها . فهنا يبدو السخاوى هداما لا أكثر ولا أقل . ويبدأ السخاوى بهدم إمام هذه المدرسة الزاهرة المقريزى ، فينسبه الى القصور والضعف والتحريف والسقط ويزعم أنه نقل « خططه » الخالدة من مسودة للاوحدى ، مع ان شيخه وأستاذه ابن حجر الذى يشيد بمناقبه الباهرة يصور المقريزى وكفاياته ومباحثه فى أجل الصور (١) ، بل لم يحجم السخاوى عن التعرض بالتجريح لابن خلدون أعظم مؤرخى الاسلام وأعظم فقهاء التاريخ والاجتماع المسلمين . وقد كان ابن خلدون أستاذاً للمقريزى ، ثم يحمل السخاوى حملته القاسية على ابن تغرى بردى تلميذ المقريزى ، وعلى البقاعى صديق ابن تغرى بردي (٢) ، ويزعم أن البقاعى ، وهو محدث ومؤرخ بارع ، وفد من دمشق الى القاهرة واتصل بمفكريها ولازم ابن تغرى بردى واستظل بنفوذه وحمايته ، كان يحرك قلم أبي المحاسن بما شاءت أهواؤه . ثم يكرر أمثال هذه الحملات على مؤرخى عصره فى مؤلف آخر هو « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التواريخ » . ويحاول السخاوى أن يدعم هذه النزعة الهدامة باحصاء بعض المآخذ والسقطات التى يحمل عليهم ، غير أنه لم يوفق فى ذلك ، لانه لم يستطع أن يحصي للمقريزى أو ابن تغرى بردى غير أخطاء تافهة فى الانساب والالفاظ . ومن الصعب أن نجد أسباباً معينة لهذه الخصومة الأدبية الشعواء ، سوى أن السخاوى كان يضطرم بروح قوية من الزهو وشغف الهدم ، قد تأخذون الحسد اللاذع — بالنسبة لمعاصريه بالأخص . ويبدو هذا الزهو واضحا فيما ذكره السخاوى فى ترجمته لابى المحاسن من أنه اجتمع به مراراً « وكان يبالغ فى اجلاله اذا قدم عليه ، ويخصه بتكرمة الجلوس ، والتمس منه اختصار الخطط للمقريزى » ؛ ويبدو حب الهدم واضحاً فى ظاهرة غريبة اشعر بها فى تراجم الضوء اللامع ، هو أن السخاوى ضنين بالمديح ، فاذا اضطر اليه ، ذكره على لسان غيره ، وقلما سطره بلسانه . وقد بلغت هذه الخصومة الادبية حداً عظيما فى أواخر حياته ، ونشبت بينه وبين جلال الدين السيوطى أعظم مفكرى عصره ، فنقده السيوطى وحمل عليه من أجل ما انتقص به فى « الضوء اللامع » من أقدار أكابر الاعيان والمفكرين ، ورماه بالغرض والتحامل فى مقامة شهيرة له أسماها « الكاوى على تاريخ السخاوى » ، وفى فاتحتها يقول : « ما ترون فى رجل ألف تاريخا جمع فيه أكابر وأعيانا ، ونصب لأكل لحومهم خوانا ملأه بذكر المساوى وثلب الاعراض ، وفوق فيه سهاما على قدر أغراضه والاعراض هى الاغراض ... جعل لهم السلاطين من جملة طعامه وادامه ، واستغرق فى أكلها أوقات فطره وصيامه ، ولم يفرق فيه بين جليل وحقير ... وامتد حتى الى العلماء الاعلام » ، ثم يأخذ السيوطى فى مقامته هذه على السخاوى بعض اخطاء فى رواية الحديث ، وينسب اليه أنه ظفر بمسودة لكتاب أستاذه ابن حجر فى الفالاله ، وحجبه عن الناس ونسبه لنفسه ، ويرميه بالجهل والحماقة والكذب فى عبارات شديدة (١) بل ان صيت هذه الخصومة يتعدى الى ما بعد وفاة السخاوى ، فترى معاصره ابن اياس مثلا حين يذكر وفاته يقول بعد مدحه « انه ألف تاريخاً فيه أشياء كثيرة من المساوىء فى حق الناس » (١) .

وهكذا نرى آثار هذه العاصفة الادبية الهائلة التى أثارها السخاوى بحملاته ونقده تتغلغل فى نواحى المجتمع الفكرى القاهرى زهاء نصف قرن . واذا كانت هذه الحملات الصارمة تثير الاعجاب بما تحتويه من بيان رائع ، ومنطق لاذع ، وروح مضطرم ، فانها مع ذلك تثير الريب فى أحيان كثيرة فى نزاهة القلم القوى البارع الذى أرسلها كالسهام الماضية لتحط من شأن عبقريات لها المقام الاسمى .

محمد عبد الله عنان

(النقل ممنوع قطعاً)

(١) راجع ترجمة السخاوى لابن تغرى بردى فى « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » (نسخة دار الكتب الفتوغرافية المحفوظة تحت رقم ٢٢٧٩ تاريخ) — وقد أدرجت مع تراجم أخرى فى المقدمة التى صدر بها الجزء الاول من

(١) راجع التبر المسبوك للسخاوى (طبع بولاق ص ٢١ — ٢٤)

(٢) راجع ترجمة ابن خلدون فى الضوء اللامع (المجلد الثانى ، القسم الثانى ص ٣٦٧ من النسخة المشار اليها) وراجع فيه ترجمة البقاعى .

(١) راجع مقامة الكاوى على تاريخ السخاوى (مخطوط بدار الكتب نمرة ١٥١٠ [illegible]

من أدب الألمان

تأملات

للدكتور فردريك فون شيلر

لورا ...

ان أشعة الشمس المشرقة لتتوهج فى نظراتك ، ونضار الشفق الارجوانى ليسيل على وجنتيك ، ونسائم النبطة والسرور لتسقط حبات اللؤلؤ العبرات من عينيك ...

ذاك الذى أبصر هذا الندى اللطيف يترقرق فى مقلتيك ، قد طاش الالوهية ، ورأى طلائع الفجر تبتدى لعينيه .. !

***

ان نفسك الطاهرة الصافية كبلور الابحة لتبدل خريفى الشاحب الى ربيع مشرق . .

والصحراء المادية القفرة لتتوهج لدى مرآك وسحب المستقبل الحالكة لتتذهب حيال قدرتك .. !

***

ولكن خبرينى ماهذا الشعور المتقد الذى يعلقك بهذه الدنيا الغرور أيتها الفتاة البائسة ! فكل مافيها سراب خادع وبرق لامع يومض لحظة ثم يختفي فى بحر الدهور .. !

وماتظنينه فيها خالداً مصيره الى الزوال ، وبين سواد الليل وبياض النهار ، تنهار بنيان الأماني ، وتتقوض عروش الآمال ! !

***

ان قصورنا الشاهقة ودورنا الواسعة لتقوم على عظام موتانا .. !

وانتصاراتنا الباهرة في ميادين القتال لتشيد على أشلاء جرحانا .. !

واشجار القرنفل لتستمد اريجها الذكى من انفاس الفناء .. !

وينابيع المياه الصافية لتنبجس من لحود بشرية ! !

***

صعدى ناظريك الى الكواكب والقى تاريخها تجدى ملايين من الاربعة قد تناوبت ، وألوفا من العروش قد رفعت ، ومئات من المواقع قد دوت . ابحثي الآن فى الساحة عن آثار كل هذا . عاجلا أو آجلا تعود السحب المتكسرة الى مدار الفلك .. !

***

أجيلى الطرف الآن فى هذه الشمس الساطعة التى تغوص فى البحر النائم ...

ثم سائليني من أين يأتى رونق لونك وسطوع عينيك ...

أيمكنك أن تفتخري بالدم الذى يساو وجنتيك والذى يأتي من طين قذر ؟

وآ أسفاه ان الموت ليقرضك هذا البهاء ربا فاحش وستدفعين ثمنه غالياً .. !

***

لا تحدثني عن الاقوياء ، فوجنتاهية مشرقة هى أجمل عروش الموت ، ووراء زهرات وجهك الزاهية يعد خاطف الارواح قوسه !

صدقيني أنه الموت نفسه هو الذى تناديه عيناك الذابلة .. !

وكل شعاع من أشعة نظراتك ليفنى مشعل حياتك ، تقولين ان عروقك لاتزال تنبض بشدة ، واحسرتاه أنها فى نبضها هذا لتعمل على هدم كيانك

***

وبنفخة واحدة سيبدد ملاك الموت هذه الابتسامة العذبة التى تعلو ثغرك الوضاح كما تبدد الرياح العاصفة زبد البحر المائج !

عبثاً تسأليني أين يكن هذا الموت ، فهو في ربيع الطبيعة الصامتة ، فى مجرى الحياة الهادئة ، فى اكمام الزهرة المتفتحة .. !

***

أيتها البائسة التعسة :

ستكر الايام ، وتولى السنون ، وستنثر منها زهرات شبابك الغض ، وتكمد شفتاك القرمزيتان ويتجعد وجهك البهى المستدير ، وتذهب نضارته وسيغطى ينبوع وبيعك الصافى بسحابة مظلمة !

واذ ذاك سوف تبحثين عن قلبك فى الفلاة الجرداء فلا تجدينه .. !

***

أما شاعرك فسيظل راسخا كالطود ، ثابتاً كالسنديان ...

وسيتحطم سهم المنية على صخور شبابي ... ونظراتي ستكون أحدوا انقدمن نظرات الباشق ، انك لترتعدين يا لورا ، وقلبك ليخفق بشدة ..

اذن فاعلمى أيتها الفتاة أن هذه السعادة الموهومة التى احدثك عنها ، والكأس المعسولة التى أرتشف منها الرحيق العلوى مسمومة .. !

***

يؤسفني الذين يحاولون احياء الشعر من الرماد ، والنغمة الطويلة لتقطع أوتار القيثارة ..

وهذه الشعلة الاثيرية الملتهبة التي يسمونها (العبقرية) لاتكون الا من أشعة الحياة .. !

طنطا محمود حسن السيد

المحافظة على القديم

Conservatism

نحن نعيش الآن في عصر مضطرب ، عصر ثورة الجديد على القديم في كل شيء ، في السياسة والعلوم والآداب ، وفي مظاهر الحياة الاجتماعية والخلقية ؛ لهذا كان من واجب الكتاب أن يتناولوا الموضوع بالبحث والتحليل . . .

والمحافظة على القديم ظاهرة من مظاهر جمود العقل البشري ينتج من عدم الثقة بالمجهول ، والاعتماد على التجربة لا على الاستدلال النظري والخضوع للعادة .

وأنت ترى أن أمثالنا السائرة تتعلق بالاعتماد على التجربة وعدم الثقة بالمجهول ، فأنت تسمع كل يوم من يقول لك « طير في اليد خير من عشرة على الشجرة » وتسمع « رجال تجرب خير من قنطار نظر » وتسمع « قدر لرجلك قبل الخطو موضعها » . هذا وأمثاله يدل على أن المحافظة على القديم طبيعية يشترك فيها الناس جميعاً .

ويعتقد أغلبية الناس أن الجديد في مبدأ عهده ضار بل خطر ، ولهذا يحاربونه لغير ما سبب سوى أنه جديد . ويعتقد أغلبية الناس أنهم يعيشون في عالم من العجائب كما يعيش الاطفال في غرفة مظلمة ، فأمامهم أخطار العالم غير المنظور ، أخطار العالم الروحي ، أخطار قوى الطبيعة ؛ كل هذه تحول بين الناس وبين مفارقة القديم الذي أثبتت التجربة أنه أكثر أماناً وأقل خطورة .

وليس الانتقال من القديم الى الجديد عبثاً فقط بل متعباً ، فالناس عند تجربتهم خطة جديدة من خطط الحياة تستنفد هذه التجربة مجهودهم يتساءلون « لماذا ننتقل من المعلوم الأمين الى المجهول غير الأمين ؟ » ولن تجد بين الناس من يحدثه نفسه بالمخاطرة — إلا عشاق الشهرة — دون البحث والتدقيق ، وفي هذا اجهاد للعقل والحواس .

ولم تذهب بعيداً ؟ تعال الى نفسك واختبرها : تصل اليك جريدة اليوم — مثلا — فتقرأ فيها اعلاناً عن شركة مالية تقدم للذين يدخرون فيها أموالهم أرباحاً أكثر من التي تدخر فيها أموالك ، ولكنك لا تنقل أموالك الى هذه الشركة لغير ما سبب سوى أنك أقل ثقة بها وبأمثالها . في الجريدة نفسها تجد اعلاناً عن دواء يقول صاحبه فيه انه أفضل علاج لمرض « كذا » وأنت كثيراً ما تقاسي من هذا المرض ولكنك لا تفكر في تغيير الدواء الذي تعالج نفسك به لأنك لا تثق في هذه الأدوية التي لم تجربها . وفي الصحيفة نفسها تقرأ وصفاً لحادثة سقطت فيها طيارة وقتل قائدها ، فيتقدم في مخيلتك واشفاق ويعجب للناس كيف يخاطرون بحياتهم دون بصر بعواقب هذه المخاطرة ، وتقول في نفسك « الطيران اليوم خطر » فلنتركه جانباً ما دامت السيارة تكفينا مؤونتها » ناسياً أو متناسياً أن السيارة بالأمس كانت في خطورة الطيارة اليوم !

وكذلك كل الحالات الأخرى ، فالرجل العادي لا يثق بما لم يجربه بنفسه وبما لم يجربه الناس ، وبما لم تثبت تجربته ، وهو يفضل ما يعرفه ولو كان ناقصاً على ما لا يعرفه ولو كان كاملا ، وهذا ما نسميه « المحافظة »

قصة الفتاة التي اشتعلت ملابسها بعدما لعبت بأعواد الثقاب ، وليست هذه القصة وأمثالها إلا صورة لفلسفة عدم الثقة بالمجهول .

هذه المحافظة على القديم أو بعبارة أخرى هذا الجمود قد يعوق التقدم والعمران ؛ فلقد كان الصينيون يعتقدون أن عالم الغربيين ما هو الا عالم الشياطين ، وأن مخترعات العلم الحديث ما هي الا فنون خادعة ؛ وأن الأعمال الهندسية الارضية قد توقظ العفاريت ، وأن القاطرة قد تغضب الارواح الشريرة !

ولعلك قرأت شيئاً عما لاقته السكك الحديدية في مبدأ انشائها بانجلترا من سخرية الجامدين ، هذا ما يؤخر التقدم الصناعي ، فأنت ترى جماعة الصناع يحاربون الآلات والأدوات الجديدة باعتقاد راسخ من الصعب التغلب عليه . وتقدم العلوم الطبيعية وفنون الحكم والحياة الاجتماعية تتطلب أن يذهب الناس الى عالم المجهول ورؤية الجديد وتجربته . والرغبة في التقدم والخوف من الحركة قد تظهران في حكم المتعارضتين ولكنهما في الواقع تكمل احداهما الاخرى ، لان الرغبة في التقدم تدعو الى الجديد ، والخوف من الحركة يدعو الى الحذر ، والحذر يدعو الى التجربة ، والتجربة الى الثقة ، وهذا واضح الوضوح كله في تاريخ المجهود البشري .

على هذا فالمحافظة على القديم ضرورية للتقدم — ولو الى حد ما — لانها تجعله اصلاحا أو في صورة الاصلاح ، وهو بدونها قد يكون هدما أو في صورة الهدم .

والعنصر الثاني الذي يشترك في تكوين المحافظة على القديم هو العادة التي لها من القوة والتأثير ما يكفي لتكييف طبيعتنا وصبها في قالبها . وقديماً قالوا : « العادة طبيعة ثانية » وهي لذلك أشد تأثيراً فيما يمس الشخصيات من عدم الثقة بالمجهول كما هو الحال في الأكل واللبس والعقيدة الدينية ، فأنت اذا ما عودت أذنك على نغمة خاصة لا تستطيب نغمة جديدة لغير ما سبب سوى الخضوع للعادة . ولعل اللباس أو الزي أقوى الامثلة التي أستطيع أن أسوقها اليك كي أثبت تأثير العادة ، فليس هناك من يفكر في تغيير الزي الذي يلبسه والذي يلبسه الناس لغير ثورة فكرية . ولقد تسألني « ما هذه التغييرات التي تحدثها الموضة في ملابس السيدات ؟ » ، والحق أن هذه التغييرات مقصورة محدودة ، أما التغييرات الحقيقية تدريجية بطيئة ، فاذا ما ظهرت سيدة بملابس هندية أو رومية قديمة يحكم عليها الناس بالخبل أو الجنون . وها نحن أولاء نرى سيداتنا المصريات لم يخلعن النقاب حتى اليوم خلعاً تاماً ، مع أن الدعوة الى خلعه بدأت منذ زمن ليس بالقصير . .

وقد يكون الحال عند الرجال أقوى وأشد ، فليس هناك تغيير جوهري في الزي حتى ولو دعت اليه ضرورة من ضرورات الصحة أو الجمال ، فالفنانون يعتقدون أن ملابس القرن الخامس عشر أكثر جمالا من ملابس القرن العشرين ،

والدكتور « جيجر » ابتكر لباساً قال أنه أكثر موافقة للصحة من ملابس اليوم ، ولكن ليس بين الناس من يقدم على ارتدائها . وليس رفض الناس لهذين النوعين من اللباس أو ما يشبههما لصعوبة ارتدائهما أو كثرة تكاليفهما ، بل لمجرد غرابتهما . وأظنك لم تنس الضجة التي أقامها الشباب هنا حول ارتداء القبعة وخلع الطربوش !

أما الدين فالمحافظة على القديم فيه ظاهرة بينة لان انتزاع العقيدة الدينية أمر صعب بل مستحيل ، فأنت اذا تصفحت الكتب الدينية وجدتها ملأى بما لاقاه الانبياء من جراء مجاهرتهم بعقيدة جديدة أو دين جديد ، فابراهيم قد ألقي في النار ، وعيسى قد صلب أو كاد يصلب ، ومحمد قد حورب حرباً عواناً ؛ واذا تصفحت كتب التاريخ وجدتها ملأى بما لاقاه المصلحون من جراء مجاهرتهم بالاصلاح ؛ فعندك لوثر وما قاساه ، وكالفن ومارآه ، وعندك محاكم التفتيش وأحكامها وفظائعها .

كذلك تقاسي الاديان كثيراً من الملحدين ، فكلاهما يتعصب لرأيه ويدعو الآخرين اليه ، فكما أن الدين عقيدة فالالحاد عقيدة . وأنت ترى أن الذين يحاربون في سبيل الالحاد ليسوا بأقل حماساً من الذين يحاربون في سبيل الدين . وأنت ترى أن التعصب الديني أو الطائفي يجر على الانسانية كثيراً من الويلات والمصائب . وسبب هذا التعصب ثقة الناس بما تعودوا عليه وخوفهم من المجهول ، خصوصاً أن الدين أكثر اتصالا بالعالم الروحي من أي شيء آخر . وأظنك عرفت الشيء الكثير عن الصراع الذي قام — وما يزال قائماً — بين الدين والعلم . . . .

وليس تأثير العادة في السياسة بأقل منه فيما يمس الشخصيات ، اذ أنه من الصعب على الأمة مفارقة النظم السياسية التي اعتادت عليها . فالجمهورية — وان قبلتها بعض الدول — يعتبرها الانجليز ناقصة أو غير موافقة لهم لتعودهم على الملكية .

ومن النظم السياسية ما له علاقة بالشخصيات كالتجنيد ، فاذا ما أجبر عليه الناس كرهوه لأن منهم من يفضل ما نشأ عليه من خطة في الحياة .

وقد تبدو المحافظة على القديم من معوقات التقدم البشري للنظرة الأولى ؛ ولكنها تبدو للمتأمل من البواعث التي تدعو المجددين أو المصلحين للأناة والتبصر ؛ وتجعل التجديد أو الاصلاح لا بالبطيء المتأخر ولا بالسريع الاهوج بل تجعله وزناً ثابتاً بين السرعة والابطاء .

ومن واجب الناس ألا يندفعوا في سبيل التجديد اندفاعاً ، ومن واجبهم ألا يحافظوا على القديم دون تفكير في الجديد ، وعليهم أن يتوسطوا

بين التجديد والجمود ، فالقديم حرمة وللجديد ... فالطبيب بجدر به ألا يندفع وراء الجديد في أساليب الجراحة والعلاج دون أن يجرب عملياته في جثة قبل أن يجريها في جسم حي ، وعليه أن يجرب علاجه في حيوان قبل أن يصفه لانسان ، والميكانيكي عليه أن يجرب نموذجاً صغيراً قبل أن يبني الآلة الكبيرة ، وعليه أن يجرب هذه الآلة الكبيرة كلما أتم منها جزءاً ، وبهذه الطريقة يسلب المجهول من مخاوفه . . .

أما الفنون الجميلة والآداب فحالها تخالف تمام الاختلاف عن العلوم الطبيعية ، فليس البحث التجريبي سر النجاح هنا ، ومن الصعب ، بل من المستحيل معرفة هذا السر ، لان النجاح في الفنون والآداب يتوقف على هذه الخصائص التي نسميها بالذوق أو الذكاء أو الملكة الفطرية . وهذه الألفاظ لا تدل الا على معان مبهمة غامضة ، فليس بيننا من يستطيع تعريف الذوق أو الملكة الفطرية تعريفاً تاماً مقنعاً ولو أحسسنا بهما عند قراءة قصيدة من الشعر الجيد أو حين نرى صورة رائعة أو نسمع صوتاً موسيقياً مطرباً ، وكذلك معرفتنا عن الذكاء معرفة غير محدودة .

من هذه الثلاث تفيض أنهار الآداب والفنون أو تنحسر . أجل ! من هذه الثلاث التي لا نستطيع رؤيتها أو التدليل عليها ، وهي من النفس سواء كانت قوية أو ضعيفة . لذلك ليس لنا سلطان عليها ، ولذلك كانت حركة الآداب والفنون غير ثابتة كحركة العلوم الطبيعية لان تقدم الآداب والفنون موقوف على الاديب والفنان تحيا بحياتهما وتموت بموتهما اذ أن الاديب هو الذي يكوّن الادب والفنان هو الذي يكوّن الفن . ويتضح لك هذا من تقدير الاثر الذي أحدثه « ابسن » في الدراما العالمية و « هيجو » في الشعر و « تين » في طرق النقد ، ويتضح لك هذا من الأثر الذي أحدثه الدكتور طه حسين في الأدب العربي ومحمود تيمور في فن القصة المصرية .

وليس معنى هذا أن عدم الثقة بالمجهول والخضوع للعادة لا تأثير لهما في الفنون والآداب ، فهناك القرن التاسع عشر الذي يسميه المؤرخون « عصر اليقظة الفنية والأدبية » تعرض لنا الأدباء المجددون والشعراء المجددون والفنانون المجددون للناقدين المحافظين .

لهذا كان حقاً على المجددين أن يتكافلوا مع المحافظين رغبة في التقدم التدريجي الثابت بعيداً من المجهول .

عبد الحميد يونس

برنارد شـو

بقلم المستر تشيرشل

كان المستر برنارد شو ضمن من أحمل لهم ضغينة في مرحلة حياتي الأولى حتى ان أول نفثات الصبا (وهي لم تعدو محفظتي طبعاً) كانت نقداً لاذعا وهجوا قارصاً عليه وعلى مقاله الذي حمل فيه على الجيش البريطاني حملة شعواء ونددبه وبأعماله ؛ ومضت أربع سنين على هذه الحادثة قبل أن أتعرف اليه على مائدة الطعام ، وكانت أمي هي واسطة عقد هذا الاجتماع لعلاقتها المتينة بالدوائر الفنية وعطفها على الادباء والروائيين . ولقد شعرت لأول وهلة بجاذبية أحاديثه ومضاتها ، وكان لاقتصاره على أكل الخضراوات أو الفواكه واشربه للماء القراح التأثير الفعال في ذهني الحدث ، حتى انه لم تفتني مداعبته لسؤالي له فيما اذا كان لا يتعاطى تلك المشروبات الروحية ؟ وقد أجابني على ذلك بأنه لا يكاد يضمن لنفسه معيشته الحاضرة على علاتها . ولعله مع بغضي له وشدة نفوري منه ولكنه لم تمض سنوات قلائل على انقضاء الحرب بنوع خاص حتى أتيحت لنا بضعة اجتماعات تبادلنا فيها قيم الآراء عن بعض المسائل ، وبخاصة ايرلاندا والاشتراكية تركت في نفسي أثراً طيبا وذكرى محبوبة لا تزال عالقة بذهني حتى الآن . وأظن انها لم تكن بغيضة لديه كذلك لأنه تكرم فيما بعد باهدائي نسخة من روايته « دليل المرأة النابهة في الاشتراكية » قائلا انها أنجع الطرق لمنعي من قراءتها .

وقد صرح أحد مترجميه وهو المستر ادوارد شانك بان ظهور عبقريته في مستهل القرن العشرين أعلق في النفس من انتسابه الى ايرلاندا ، ولا مشاحة في أن الصفات الايرلاندية الموروثة لا تظهر عليه الا لمن يلاحظها بدقة وتمعن ، بالرغم من أنه كتب بعض مقالات ضد محتكري أراضي ايرلاندا وجمود أبنائها في رواية (جزيرة جون بول الثانية) .

. . ويلاحظ أن تأثير القرن العشرين فيه كان بالغاً من حيث الصحافة العصرية والآراء السياسية الجديدة ، والنزعات الدينية الحديثة ، وعدا نظريته الرأسمالية الخادعة التي استحوذت على أفكاره .

وقد عاش تسع سنوات في لندن عيشة الضنك والفاقة بين يأس مميت وأمل خاب ولا يزال منتظر بداية الرئة وقبعته المتدلية ، لحكمة اقتصادية ظاهرة ، وسترته السوداء الضاربة لونها الى الاخضرار عالقا بالأذهان . ويقول مستر شو انه كان يحصل في ذلك الحين على ستة جنيهات يصرف منها خمسة في سبيل الاعلانات وذلك كان في أمس الحاجة الى معونة أمه والاعتماد عليها بعض الشيء ، — الى أن أتيح له أخيراً نجاح كتاباته في النقد والدراما والسياسة والمقالات الادبية . وفي سنة ١٨٩٢ ظهرت له أولى رواياته التمثيلية (منازل الارامل) وقد أثرت فيه أيامه الاولى تحت سماء ايرلاندا تأثيراً سيئاً فاحش ... شديد وبغض ... وطبقة الاشراف وأهل الدين ، وقد يعزو بعض هذا الى ... الامة ... لا تستطيع

قل من الناس من يعمل بما يقول ويسلك حسب ما يبشر ، وأقل هؤلاء وأشدهم استهتاراً هو المستر شو فهو أبعد الناس عن تطبيق نظرياته المتناقضة في منزله وتصرفه الشخصي ، كما انه ليس ثمة من يعيش عيشة أشرف وأرقى من هذا الرجل ، عكس خواطره الهدامة فهو يسخر من رباط الزواج وعاطفة الحب ، على حين أنه أسعد المحبين وأخلص الازواج .

وبالرغم من أنه يؤمن بوجوب مساواة الدخل ويعتبر كل من زاد ايراده على ايراد غيره مذنباً متهماً بالاختلاس فقد أشهر على مستر لويد جورج وميزانيته حرباً كلامية شديدة لم يماثله فيها غيره من الناس .

يقول مستر شانك في كتابه :

« لقد صادف مستر برناردشو طوال حياته صعوبة كبيرة وواجه عقبة لم يكن ليتغلب عليها وهي شعوره بالخجل في استعمال كلمة (الله) ، وعلى نفوره هذا لم يستطع استعاضتها بشيء آخر مناسب ولهذا نراه يخترع « قوة الحياة » ويعتبر المسيح نصف اشتراكي ويؤسس الجنة على قواعد سياسية صارمة . . . نشاهد هذا الشاب الفقير الممتلئ نشاطاً وسخطاً ، مؤلف الروايات الفاشلة يجتمع بهنري جورج ، وفي التو واللحظة يلتحق بالجمعية الفابية مدفوعاً بعاطفة قوية وحمية سامية ثم يطفق يحاضر الجماهير في الفنادق وزوايا الشوارع كابحاً جماح أعصابه مستولياً على شعور سامعيه بقدرته على المحاجة ولباقته فيها .

وفي سنة ١٨٨٩ يتأثر ببعض المبادئ المرقسية (الاشتراكية) ولكنه ينبذها ليعتنق مبادئ مستر سيدني ويب التي يقول فيها بأنها لها كبير الفضل في تكوين رأيه وتغيير مجرى أفكاره ؛ الا أن هذا لا يمنعه أو يسد شهوته فيستعيض عنها بشيء آخر . وفي هذا الصدد يصرح بان الفن الجميل هو العلم الوحيد ولكنه يعجز حتى في هذا عن التمشي مع مبدئه الجديد واتباع دينه الحديث .

وعلى التحقيق لم يتألق نجم شهرته في سماء العظمة والخلود الا في بدء القرن العشرين اذ هز العالم الأدبي والدوائر الفنية برواياته (كانديدا — ميجر باربارا — والسوبرمان) هز أعنيها لفتت جميع الأنظار لتلك القريحة الوقادة والذهن الحاد واللغة الصافية والجدال المقنع الجذاب .

ورواياته الآن لا تعد في طليعة الأدب الانكليزي فحسب بل لا يدانيها في الأدب العالمي طرا غير روايات شكسبير ، فكافة الافراد المثقفين في مختلف الممالك يتهافتون عليها ويقابلونها بما ينبغي لها من الحفاوة والاعجاب . وقد حضرت حديثاً في صحبة أبنائي تمثيل رواية الميجر باربارا التي أخرجها منذ خمس وعشرين سنة ، ولشد ما كانت دهشتي أن يلاحظوا عليها مسحة الافكار العصرية والمامها بجميع النزعات الحديثة مما حدا بهم الى ... في تمام وجوهها .

الاحوال الاجتماعية وتطورت الاراء السياسية والاقتصادية واكتسبت الافكار الوطنية شكلا جديداً ، ولكن هذه الرواية حافظت تماماً على نضارتها وبهجتها حتى لم يروا ثمة حاجة الى تغيير أو القاء أي جملة أو فكرة فيها . والشيء الذي يؤسف له أشد الاسف ان الرجل لم يقم لامته بأي خدمة أو مساعدة في أيام محنتها ، ولكنه رغم استهتاره بهذه المحنة فأننا لم نحمل له حقداً قط ، بل لا نزال نعتز به ، ونشكر الله الذي أتاح لنا أخيراً مشاركته في عذوبة ودقة نظره وأن نضحك مع العالم كافة مجددين عهود الروابط البشرية ، على أنه ربما يكون من الأمر الملتبس لشوب الحرب عطفاً هذا المجون اذ لو قدر له انتزاعنا بمقاتلة لكنا أسعد حالا وأصلب شأناً ولما حرمنا وجوهاً كثيرة عزيزة علينا . واذا جاز لنا التكهن بما ستقابله به الاجيال القادمة رأيناه موضع عطفهم ومحبتهم ولا ابتسام شخصية فذة يمحق حلقة ارتباط أخرى في سلسلة الشعوب الانسانية وأعظم وأقدر كتاب الافكار المعاصرين .

المخلص رياض روفائيل

حلم عبد

« لونجفلو »

بالقرب من حقل الارز الذي لم يجن بعد كان العبد مستلقياً . . .

يقلب منجله بين يديه مفكراً فيما يقاسيه من ذل حتى غلبه النعاس . . !

وكانت قدمه حافية وصدره عارياً . . !

وشعر رأسه الملبد مدفوناً في الثرى . . !

***

مرت سحابة امام عينيه ثم انقشعت . . .

فتراءى له وطنه امام ناظريه . . !

ثم اتسعت لوحة أحلامه . . .

فرأى نفسه بين أفراد عشيرته . . !

***

وتحت شجرة النخيل كان واقفاً . .

الزوجها ملكا كما كان . . !

منصتا الى هدير الجمال وصوت القافلة . .

وهي تنحدر على سفح الجبل . . !

***

ثم رأى الملكة زوجته ذات الاعين السوداء ،

ومن حولها أطفاله الكثيرون . . !

بعضهم يتسلق ظهره وبعضهم يقبل خده . .

وبعضهم يوسع يديه لثماً

***

انفجرت من عين النائم دمعة . .

سقطت على الثرى فبللته . . !

ثم لما سمع صهيل الخيول وصليل السيوف . . .

جفف دمعه واندفع بجواده على صفحة النهر . . !

***

وكان لجام جواده من ذهب . . !

وسيفه موشى بالجواهر . ! .

وكان اذا صوب حسامه نحو صدر عدوه . .

نفذ فيه وأرداه قتيلا . ! .

***

وكان يقضي أوقات فراغه في الصيد والقنص . .

يتتبع الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة طول يومه ! . .

غير مبال بسهل الارض أو وعر الجبال . . !

حتى تتراءى له أكواخ القبائل المجاورة . ! .

***

ثم يرى وراءها المحيط ممتداً . . !

فيرجع الى أهله وأولاده . ! .

يشجيه في طريقه زئير الاسد المرعب . .

ويسره صراخ الضبع العالي . ! .

***

يلذ له رؤية الحيوانات تشق لها طريقاً . .

تبحث عن فريسة لها ولأولادها . ! .

كل هذا مر أمامه في الحلم . .

فكانت مناظر لذيذة ورؤيا ممتعة . ! .

***

وكان عشرات الالوف من العبيد يصيحون

منادين بحريتهم مطالبين بتحريرهم . !

وكانوا يدقون الطبول وينفخون في الابواق

كأنهم في حرب أو كأنهم في عيد ! .

***

تحرك العبد ثم ابتسم لهم وهو نائم

فرحا بما أحرزه اخوانه من نصر !

ولعجب سيده لم يشعر العبد بالسوط يشوي جسده . !

ولا بحرارة الشمس تحرق جلده !

***

لان الموت كان قد ختم رحلة النوم !

وطارت روحه تشكو الى باريها .

ظلم الانسان لاخيه الانسان !

أما جثته فقد أكلتها النسور والذئاب !!

عبد الحميد حمدي

باستور

العالم الفرنسي الخالد

يحسن قبل أن نأتي على طرف من عمل باستور العالم الفرنسي العظيم أن نجمل فكرة عن الطفيليات لعلاقتها بموضوعنا. فالطفيليات مخلوقات حية تعيش على حساب غيرها — سواء أكان ذلك الغير حيواناً أو نباتاً — مستمدة أسباب الغذاء من أجسام «مضيفيها». وقد تعيش تلك الطفيليات طول حياتها على حيوان واحد لا تبرحه أو على حيوانين أو أكثر تبعاً للأدوار التي تمر على تكوين ونمو أجسامها.

فالديستوما الكبدية مثلا في أثناء تطورها — أي مرورها بأطوار مختلفة — تعيش (١) في القناة الصفراوية للخروف (٢) في حيوان قوقعي يسمى (Limnoen) حيث تصبح ربدى ومن ثم سركاريا، أي انها لكي تتم دائرة تطورها تعيش متطفلة على حيوانين مختلفين.

ويندر جداً أن يوجد حيوان خال من الطفيليات التي تحتل جزءاً مخصوصاً منه. وهذه الطفيليات تختلف في إضرارها بجسم مضيفيها: فبعضها يسبب آلاما وقتية لا خطر وراءها، أما البعض الآخر فانه فضلا عن الآلام الشديدة التي يسببها [illegible] يعرض صاحبه الى خطر الموت في كل وقت.

ولسنا نريد أن نلم بجميع أطوار الطفيليات، فان ذلك، فضلا عن كونه مستحيلا لعظم عددها، لا يدخل في موضوعنا الخاص بباستور وعمله لنجاة دودة القز من الهلاك بسبب الطفيليات التي تعيش عليها.

نعلم أن بيضات دودة القز توضع أولا على شجرة التوت في فصل الخريف ثم تفقس في فصل الربيع وتتغذى على الأوراق الخضراء التي لو استبدلت كل يوم بأوراق جديدة لكان ذلك أدعى الى سرعة نموها وكبرها. ونظراً لأن جلدها الخارجي صلب على نوع ما ولا ينمو بنمو الدودة نفسها فانها تعمل على التخلص من ذلك الغطاء الذي يكسوها في فترات معينة، وقد يبلغ ذلك ثلاث أو أربع مرات، ثم تستريح فترة ربما تجمع قواها لتتبدل من دودة زاحفة الى فراشة مجنحة. وفي هذه الفترة تفرز غددها اللعابية سائلا لزجا يجف في الهواء وما هو الا الحرير. وهذا السائل يخرج من فمها على صورة خيط تلفه الحشرة على جميع أجزاء جسمها، وبعد ذلك تتكون شرنقة كثيفة تحيط بالجسم ثم تخرج الفراشة من هذه الشرنقة.

ولقد مكثت صناعة تربية القز من أهم الصناعات الوطنية المنزلية يجني الفلاحون كثيراً من [illegible] أوربا الجنوبية وخصوصاً فرنسا فكانت العائلات تربي دود القز لكي تبيع ما ينتجه من الحرير الى المصانع الخاصة به، وكان الفلاحون [illegible] [illegible]

ولقد ظلت تلك الصناعة المنزلية تدر ربحاً غير قليل على أولئك الفلاحين. ولكن في سنة ١٨٤٩ أصيبت دودة القز بمرض فلم تكن في أي دور من أدوار حياتها تتخلو منه، ففي بعض الحالات لم تفقس البيضات بالمرة، وفي بعضها الآخر كانت الدودة تهلك بعد ظهورها ببضعة أيام، وكان من النادر جداً أن تعيش دودة واحدة الى أن تتشرنق وتخرج حريراً أغبر تالفاً. ولقد عالج بعض الفلاحين ذلك باستحضار بيضات جديدة من بعض الممالك القريبة ظناً منهم أن العيب بالبيضات القديمة فنجح هذا العلاج مؤقتاً اذ أفرخت البيضات ونما دودها كما ينبغي، ولكن ذلك لم يفد الا في عام واحد واحتاجوا في العام الثاني الى استيراد بيضات أخرى جديدة. وعلى ذلك تبين انه يجب على كل معتن بتربية دودة القز أن يحضر بيضات جديدة في كل عام لكي ينجح في عمله. وذلك ما حدث بالفعل لبضع سنين تبين بعدها أن جميع الممالك قد أصيبت بما أصيبت به فرنسا فلم تسلم من مرض دودة القز الامم الا اليابان فانها المملكة الوحيدة التي نجت من شرها.

ولقد أدخل ذلك يأساً في قلوب مربي دودة القز، اذ انهم لم يدخروا وسعاً في تجربة جميع العلاجات الممكنة، ولذلك فان عدداً كبيراً من العائلات التي كانت تعتمد في معاشها على صناعة دودة القز اضطرت في النهاية الى استجداء أكف المحسنين لما نالها من العوز المضني والفقر الشديد.

وكان أن أعلنت الحكومة الفرنسية عن تقديمها جوائز عظيمة لمن يكشف علاجا به تستأصل شأفة ذلك المرض الوبيل الذي حاق بتلك الصناعة الوطنية التي كانت تعول عائلات عدة. ولم تكتف بذلك بل عينت هيئة لكي تبحث الموضوع جملة. وكان على رأس تلك الهيئة عالم كيميائي مشهور وبين طلبته طالب نابغة يتوسم فيه استاذه الكيميائي مخايل النبوغ المستور والذكاء المتوقد لما ابتدأ يبديه من الاكتشافات الجليلة، وكان اسم ذلك الطالب (لويس باستور).

ولقد طلب منه أن يبحث في موضوع دودة القز وأن يظهر موضع الداء ويكتشف الدواء، ولكنه أبي في بادىء الامر قائلا: «أنا اعمل في الكيمياويات وليس في الطبيعيات». وكان انكبابه على الكيمياويات يصحبه لذة وفرح في حين انه لم يلمس دودة قز واحدة في حياته. ولكنه اذ فهم أن ما سيأخذه على عاتقه من مهمة سيكون له اثر كبير في مستقبل كثير من مواطنيه شحذ من عزمه وحول استاذه على الدوار لذلك الامر باذلا اقصى جهده فسافر الى (alais) وهي مدينة في وسط المقاطعات التي تشتغل في صناعة دودة القز. وأول ما عمله باستور انه فحص بيضات كثيرة من دودة القز تحت الميكروسكوب فوجد عليها كريات [illegible] [illegible] في أثناء تطور دودة القز [illegible] الى الفراشة البالغة الى البيضات. ثم انه وجد أن [illegible] [illegible]

وبعد أن صرف اسابيع طويلة في عمله الدقيق فهم المرض تماما حتى انه كان يمكنه أن يعدي بيضة سليمة في يوم ما ثم يحدد بدقة اليوم الذي فيه تظهر عوارض المرض. ولا شك أن ذلك كان أول خطوة يخطوها في سبيل غايته. ثم انه بذل عنايته في تنظيف الامكنة التي تربي فيها دودة القز ونظم حرارتها لكي يتجنب أية واسطة تسهل المرض وتساعد في زيادته.

وكان يفحص بيضات الفراشات تحت الميكروسكوب عقب وضعها مباشرة فما يجده منها مصابا بمرض أو عليه طفيليات فانه يعدمه ويبيده، وأما الخالية من أسبابه فانه يستبقيها ويحفظها سالمة بقدر الامكان. ولا يتبادر الى ذهن القارىء أن الناس فرحوا بما توصل اليه باستور بعد اختباراته الطويلة لانه يقول بابادة البيضات المصابة وهي تبلغ معظم البيضات في كل بيت تقريبا ولا عجب ان في ابادتها خسارة لهم على كل حال، وعليه فقد تذمروا واستهجنوا [illegible] الحد أن الحكومة نفسها لم توافق كل الموافقة على نتيجة بحوثه، غير انه أعطيت له الفرصة الى أن يكرر تجاربه على مدى أو سع فقصد مثلا (illyria) لكي يتحقق من نتيجة عمله.

وفعلا أخذ في تربية دود القز [illegible] كل البيضات [illegible] [illegible]

بمبلغ ٩٠٠٠ جنيه فكان لذلك ضجة استحسان للنتيجة البارعة التي توصل اليها. وعليه فقد أخذت مصانع وغيرها من البيوت المهتمة بتلك الصناعة كلها في تخصيص بضعة أشخاص لكي يفحصوا البيضات فالسليمة يبقون عليها والمصابة يعدمونها البتة، وذلك سهل لان علامات البيضات المصابة بالمرض عرفت ودرست بدقة. فلم تمض ثلاثة أجيال الا وكانت البيضات جميعها سليمة قوية خالية من شوائب المرض الفتاك وبذلك تخلصت تلك الصناعة الوطنية من شر الهلاك بفضل رجل الساعة الهمام باستور. ويقال ان فرنسا خسرت ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠ جنيه بسبب مرض دودة القز.

ولا تقتصر قصة دودة القز المتقدمة على ما تبينه بوضوح من علاقة حياة الانسان ودودة القز وحياة الميكروب الصغير المتطفل وارتباط كل بالآخر فقط بل تتعدى ذلك الى انها نبهت الاذهان (اذهان العلماء بالطبع) — بمناسبة ما نشره باستور عن عمل تلك الاحياء الصغيرة — الى فكرة وجود تلك الاحياء الصغيرة جداً الميكروسكوبية (التي لا تتجاوز ابعادها بضعة ميكرونات) التي عنها تنجب حرمة [illegible] اذا تركت بضعة أيام والطبيعة التي [illegible] في عمل البيرة وبعض الخمور الاخرى [illegible] [illegible]

ماذا نفعل بضعاف العقول

هل نمنعهم من الزواج ليموتوا ويتطهروا (؟)

راى جرىء لاحد اللوردات الانجليز

من المعلوم ان المتوهين وضعاف العقول ينمون ويتكاثرون بسرعة وان نسلهم يجيء مثلهم ويشبههم في الخصب والتكاثر. وقد لاحظ العلماء أن الاغنياء وأصحاب العقول الراجحة هم أقل نسلا منهم وهم لا يعلمون لذلك سببا، ولكنهم يذهبون في تعليله مذاهب شتى أهمها ان التفكير في حل المسائل العلمية والمالية وما أشبه يضعف قوة النمو والتكاثر، بدليل ان المجانين الذين يصابون بالجنون لعارض طارىء غير عارض الوراثة هم كالعقلاء في قلة النسل، وذلك — على الأرجح — لانهم كانوا قبل اصابتهم بالجنون من أصحاب العقول المفكرة.

والقرائن على صحة هذه النظرية كثيرة تؤيدها الاحصاءات المختلفة. فضعيف العقل اذا تزوج لم تمض عليه بضع سنوات حتى تكون له أسرة كبيرة يرث جميع افرادها منه ضعف العقل، وكذلك الطوائف الفقيرة من الناس يتوالدون بسرعة حتى ليخيل الى الذهن ان لا هم لهم في هذه الحياة الا الاكثار من النسل.

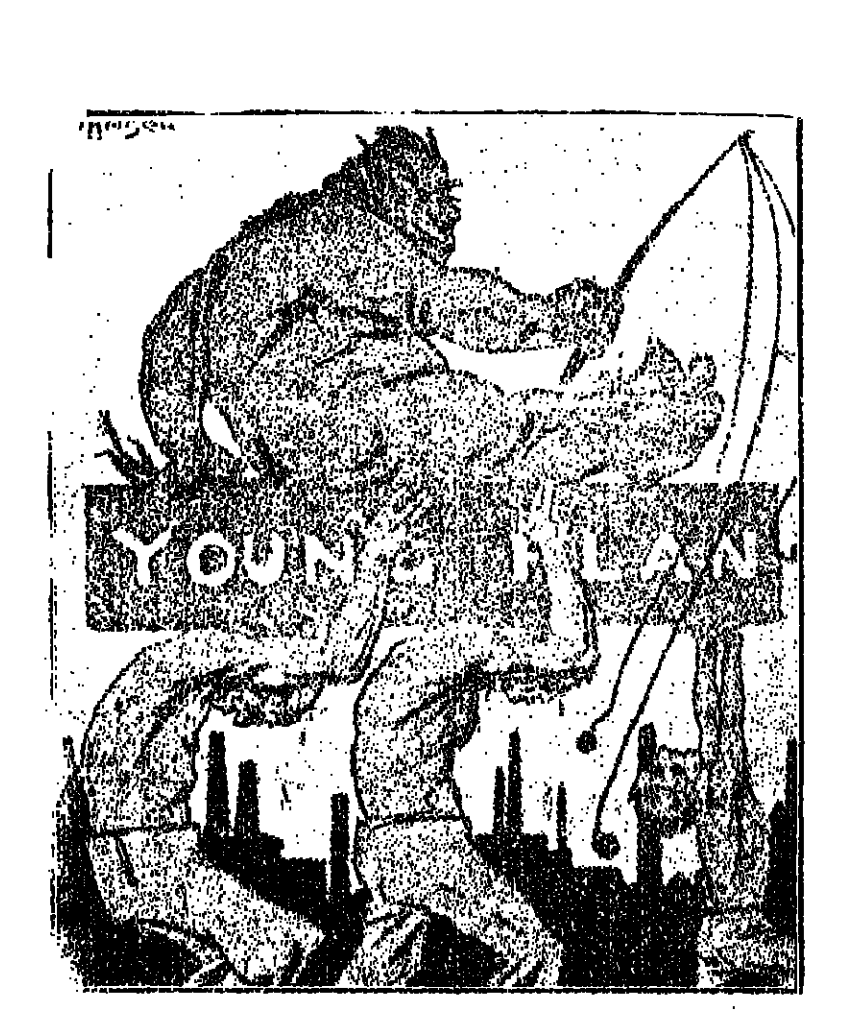
وقد لوحظ أيضاً ان البلاد التي لا يساعد جوها على الحركة والنشاط يزداد فيها النسل اكثر مما في غيرها. وأبلغ مثل على ذلك الاقاليم الحارة حيث يفقد الانسان نشاطه وقوة عمله ومع ذلك يكثر نسله.

ومسألة تكاثر المتوهين وضعاف العقول هي من المشاكل الاجتماعية التي يكاد العلماء يعجزون عن حلها. ولكن اللورد ريدل أحد رجال القانون في انجلترا يرى أن الواجب يقضي بمنع اولئك الناس من الزواج أو على الاقل من التناسل؟ وقد وضع كتابا في هذا الموضوع أودعه آراء كثيرة جديرة بالدرس والاهتمام. ومع ان كتابه لا يتناول الا الحالة في انجلترا الا أنه ينطبق على الحالة في جميع البلدان، لان آراء المؤلف قائمة على مبادىء علمية صحيحة تشتمل على حقائق أولية.

وفي الواقع ان كتاب اللورد ريدل هو بحث مسهب في هذا الموضوع الاجتماعي الخطير الذي قد تضاربت فيه آراء العلماء ونعني به موضوع التحكم بالنسل. وأنت تعلم أن جانباً كبيراً من علماء الاجتماع يقولون اليوم بوجوب ذلك التحكم في مصلحة الاجتماع لان أعباء المعيشة أصبحت ثقيلة وأبواب الرزق ضيقة. وقد كثر الزحام على الارزاق حتى صار ذلك سبباً من أسباب كثرة الجرائم، فضلا عن كونه يؤدي الى جعل الكرة الارضية تضيق بسكانها. ومعضلة التحكم بالنسل ليست حديثة ولكن الجدال حولها قد كثر في السنين الاخيرة حتى صارت في مقدمة المشاكل العمرانية التي يعالجها العلماء بل تكاد تكون أم تلك المشاكل.

وكتاب اللورد ريدل الذي نحن بصدده هو في الواقع مجموعة مباحث متعددة في القانون والاجتماع وأهمها — كما سبق القول — مسألة التحكم بالنسل مع شرح الحالات التي يجوز فيها وضع حد للتناسل والتي يجوز فيها أن يكون للرجل سلطة على جسمه والتي لا يجوز له فيها تلك السلطة.

السياسة الخارجية مصورة



مشروع يونج

يحاولون بمشروع يونج أن يحلوا مشكلة التعويضات ولكن على الرغم من الجهود المضنية التي يبذلونها ما زال الشيطان يضحك وما زالت المشكلة بعد الحل!!

(عن كلادراداتش — برلين)



سكوت!

صورة رمزية لاجتماع الوزارة الايطالية برياسة جلالة ملك ايطاليا!!

(عن كلاديراداتش — برلين)



النزاع بين الصين وروسيا

وقد بحث اللورد بحثاً طريفاً في تعقيم الذين لا يصلحون للبقاء تعقيما يمنعهم من الكثرة والتناسل. وهو يرى ذلك واجبا من الواجبات الوطنية لأن المتوهين والمجانين وضعاف العقول اذا تزوجوا جاء نسلهم مثلهم، وليس من العدل أو من مصلحة الاجتماع ان يكثر هؤلاء ويصبحوا عالة على البشر. بل أي عاقل يبيح اطلاق الحرية لاولئك القوم لكي يخفضوا بكثرة تناسلهم مستوى القوى العقلية في العالم ويطلق للمجانين والمجرمين والوارثين حرية التكاثر حتى يبتلي الاجتماع بنسلهم.

ولهذه المشكلة وجوه كثيرة فقد نبحث فيها من الوجه العلمي أو العنصاني أو الاجتماعي أو الادبي أو الاقتصادي. ولكن مهما تكن الوجوه التي ننظر اليها منها فلا شك ان الواجب لا يمكن ان يشكل على المرء فهو يقضي بعدم السماح بتكاثر تلك الطائفة لان تكاثرها يؤذي الاجتماع.

يقول اللورد ريدل ان في انجلترا حيث عرمرما من المجانين والمتوهين وضعاف العقول حتى ان عددهم زاد في السنة الماضية أربعين ألفاً على ما تستطيع الحكومة والملاجىء الاهتمام به. وكانت الحكومة الانجليزية قد عينت في السنة الماضية لجنة للبحث في هذه المشكلة وتقديم الاقتراحات لحلها. وقد وضعت اللجنة تقريرها ويؤخذ منه انه اذا ارادت الحكومة الانجليزية انشاء الملاجىء والاصلاحيات الوافية للمجانين والمتوهين وضعاف العقول فلا بد لها من مضاعفة المبلغ الذي تنفقه الآن في سبيل ذلك والذي لا يقل عن ثمانية ملايين من الجنيهات. أي أن الحكومة يجب عليها، اذا أرادت الاهتمام بتلك الطائفة، أن تنفق ما لا يقل عن ستة عشر مليون جنيه كل سنة وهو مبلغ هائل يدل على عظم شأن هذه المسألة. وهذا فضلا عن مبلغ ثلاثين مليونا من الجنيهات لانشاء الملاجىء والمستشفيات في جميع انحاء المملكة لكي تسع جميع الذين يفدون عليها من الانحاء المختلفة.

ولا شك ان هذه النفقات وحدها تكفي لاقناع المعارضين بوجوب منع المتوهين وضعاف العقول من الزواج أو على الاقل من التناسل. وهذا السبب عينه هو الذي قد حمل كثيراً من الدول المتمدنة على سن قانون يوجب على كل من يريد الزواج — رجلا كان أو امرأة — ان يحصل على شهادة طبيب تثبت انه صحيح الجسم والعقل خال من كل ما يمنع زواجه. وهذا بلا شك من أفضل القوانين العمرانية التي فكر فيها البشر. وفي اعتقادنا أنه لن يمضي وقت طويل حتى تجري بوجوبه جميع الدول.

وتتضح فائدة قانون كهذا في انجلترا حيث البطالة تهدد نظام البلاد الاقتصادي وحيث يؤدي السماح بتكاثر ضعاف العقول الى اشتداد أزمة البطالة وتعقدها. ولهذا يرى اللورد ريدل ان الحاجة تدعو الى الاسراع في وضع قانون لتعقيم ضعاف العقول والمتوهين لمنعهم من التناسل. أضف الى ذلك ان ضعف العقل سريع الانتقال بالوراثة [illegible] السماح بزواج ضعاف العقول انما هو [illegible]

ويؤخذ من تقارير الاطباء ان الجانب الاكبر من المجانين وضعاف العقول والمجرمين هم منحطون في آدابهم، وان هذا الانحطاط أيضا ينتقل فيهم بالوراثة. ومعنى ذلك أن اطلاق الحبل لهم على الغارب يزيد في انحطاط الامة ويخفض — ليس مستواها العقلي فقط — بل الادبي أيضا. وهذه الحقيقة وحدها يجب أن تربنا واجبنا نحو الوطن والامة وهو أن نحول دون تكاثر تلك الطائفة من المخلوقات البائسة اما بمنعها من الزواج أو بتعقيمها بالوسائل التي يعرفها الاطباء والجراحون بل ان تعقيم اولئك الناس هو من أعظم الخدمات التي نستطيع تقديمها للوطن.

تأملوا في حالة ذلك النسل الضعيف في قواه العقلية والجسدية المنحط في مستواه الادبي. ترى أية منفعة ترجى منه وأي خير يؤمله في الحياة؟ ان البيمارستانات والملاجىء والمستشفيات والاصلاحيات والسجون والمقابر تضم الملايين من اولئك البائسين الذين كان خيراً لهم لو لم يولدوا ولم يكونوا وصمة عار على جبين الانسانية. ولو خيروا في مجيئهم الى هذا العالم لابوا لا محالة.

على المرء الذي يقدم على الزواج ان يفحص نفسه ليرى هل هو أهل للزواج وهل يستطيع تعيل نسله وتهذيبه وتربيته. وعلى الحكومة أن تنظر في هل هذا المقدم على الزواج هو في حالة من صحة العقل والجسم تبيح له ان يتزوج ويقذف بنسله الى العالم. ان الطفل الذي يولد ضعيف العقل وضعيف الجسم وفي حالة من الفقر والشقاء، انما هو ضحية أبيه. فهو كلما تقدم في العمر وادرك ما هو فيه من الشقاء ردد قول ذلك الشاعر:

هذا جناه ابي على (م) وماجنيت على أحد

رب معترض يقول ان وسيلة التعقيم التي يراد فرضها على المتوهين وضعاف العقول والمجرمين الوراثيين هي وسيلة استبدادية تنافي مبدأ حرية الفرد. ولكنا نسأل هذا المعترض: هل من مقتضى مبدأ حرية الفرد ان يخفض مستوى الاجتماع ويزيد في شقائه بمن يقذف بهم اليه من اولاد ضعاف العقول والاجسام شديدي الميل الى الاجرام؟ وهل من مبدأ حرية الفرد أن نسيء الى المجموع؟

ما نظن أحداً يجرؤ على القول بذلك. والغريب الانكى في هذا الموضوع ان الاغنياء واصحاب العقول الراجحة الذين يحتاج العالم الى نسلهم يعمدون الى تعقيم انفسهم بمحض اختيارهم فيزيدون الطين بلة. فبدلا من أن ينقص النسل غير المرغوب فيه ويكثر النسل المرغوب فيه تنعكس الآية ويزيد بذلك شقاء العالم.

ان من أكبر دواعي الاسف ان يتحكم أصحاء العقول والاجسام بنسلهم. وان يطلق ضعاف العقول لانفسهم العنان. ترى هل العالم سائر الى البوار؟

هذه بعض الآراء التي قد عرضها اللورد ريدل في كتابه، وهي جديرة بامعان النظر لانها تنطبق على حالة المجتمع العمراني في جميع انحاء العالم.



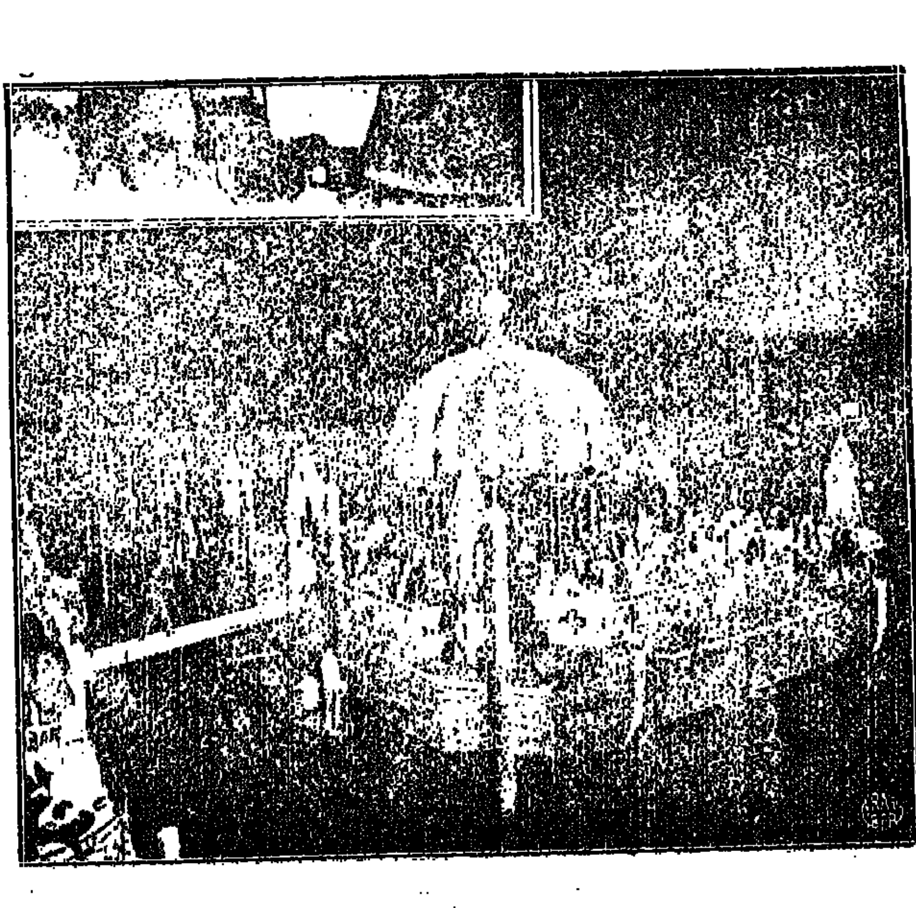
البرنس فاروق ولى عهد المملكة المصرية يقوم بتمرين فى القفز مع مدربه الانجليزى فى حدائق قصر عابدين بالقاهرة.



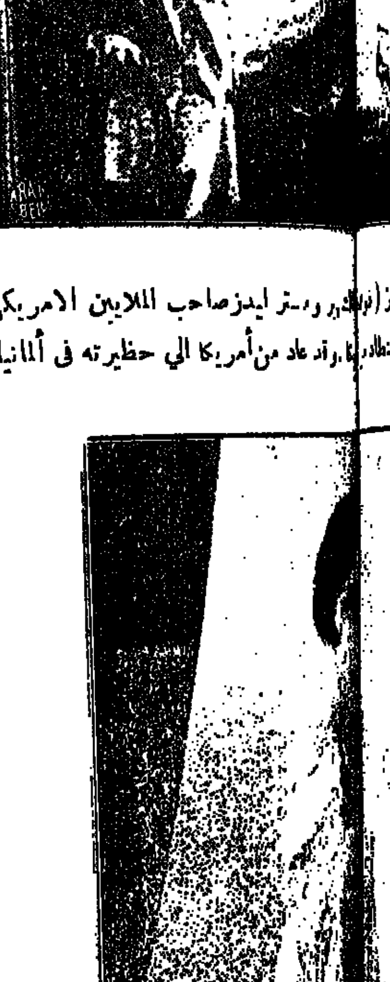
يتناولون العشاء فوق السحاب : سير هربرت ويلكنز (الطيار) ومستر ايدز صاحب الملايين الامريكى وآخرون من ركاب جراف زبلن يتناولون عشاءهم بين اطباق الجو أثناء سفر الطيارة وقد عاد من أمريكا الى حظيرته فى ألمانيا فى ٥٥ ساعة ونصف الساعة



ميشيل ملك رومانيا الطفل راكباً حصانه المائى فى كونستانزا على البحر الاسود حيث يقضى اجازة الصيف



مرقص عائم أقيم على ترعة من ترع مدينة البندقية فى ايطاليا والجمال الذى يجتليه الراقصون فى هذا المرقص العائم يعجز عن وصفه القلم اذ يتمتعون فوق منظر الماء البديع بنسائم رقيقة تلطف الجو صيفاً وذلك الى الأنوار المتلألئة فى الليل مما يزيد فى بهجته ورونقه.



المودات الجديدة — ثوب يلبس عند تناول الشاى من الجورجيت الاصفر الفاتح وعلى حافته ريش النعام

رجال الساعة — (على اليسار) مستر سنودن وزير المالية الانجليزية فى جلسة مع مسيو بريان ومستر فان بلوكلاندر رئيس الوزارة الهولندية، وقد أثار دفاع مستر سنودن عن المصالح البريطانية واصراره على تعديل مشروع يونج لدفع أقساط التعويضات ضجة فى أنحاء العالم.





المودات الجديدة : ثوب من الجورجيت وعلى حافاته رسوم وأزهار وألوان تجعل منظره بديعاً ساحراً، وهو فضفاض ذو أكمام واسعة يريح الجسم كل الراحة.

المودات الجديدة : ثوب يلبس فى أوقات الراحة مصنوع من الستان الاسود المنقوش بأزهار الربيع الباكر

كلمة الله وعجائب العلم

بدء حياة النبات

نتج من تقلص القشرة الارضية وتجددها وجود مرتفعات ومنخفضات . وبدأت حياة النبات على شواطىء البحار بشكل يشابه ما يشاهد الان على تلك الشواطىء من الطحالب . نجد اذا نظرنا الى ما ينكشف من قاع البحر المجاور للشاطىء عند حصول الجزر (البحار الواقعة في المنطقة الحارة) أنه مغطى بنباتات خضراء يعزى اليها السبب في اختلاف لون ماء البحر . ولنفرض أن شاطىء البحر قد ارتفع لأسباب بركانية مثلا فماذا يجرى لهذه النباتات ؟ . يموت بعضها ويبقى الآخر معتمداً على وصول قليل من الماء اليه في وقت المد أو على الرطوبة المنبعثة من البحر الاقرب . وبطول الزمن تنقلب هذه النباتات من بحرية الى برية . وقد استنتج علماء النبات ان كل النباتات ترجع الي البحر فى أصلها .

الطحلب

نشاهد أن لون الماء الراكد يميل الى الاخضرار فمن أين جاء هذا اللون ؟ جاء من وجود الجراثيم الطحلبية وهى التى نرى مجاميعها فى شكل أعشاب متماسكة لو وضعناها تحت المجهر لوجدنا أنها مكونة من جراثيم كثيرة يشبه كل اللؤلؤ فى شكله: قلبها فى الوسط وحوله المادة الخضراء تحتها مادة سكرية تفرزها الخلية، وأكياس صغيرة يخرج منها العصير الخلوى . ونجد أيضاً لهذه الجرثومة زعنفتان تساعدها على الانتقال في الماء . وتعيش هذه الجراثيم على ثانى أكسيد الكربون الذى يصلها اما من الجو أو من بعض الاملاح البحرية ولكن ما الذى يحصل لتلك الجراثيم؟ هل تكبر وتكبر ثم تضعف وتموت شأن كل مخلوق ؟ ؟ هنا سر تقدم الحياة . لما تنمو الجرثومة الى حد معين تنقسم الي قسمين لكل نصيب من جميع أجزائها . وتتحول البروتوبلازم الواحدة الى اثنين كل منهما خلية جديدة . وهذا ينطبق على خلايا جميع النباتات العالية والدنيئة، وستجد فى حياة الحيوان ما يشبه هذا . وقد يحصل أنه حينما تنقسم الخلية أن يتمزق جزء من الغشاء الخلوى، واذا تمزق هذا لا يمكن للخليتين الجديدتين أن تعيشا طويلا . ولتلافى هذا يتحدان . وهذا هو الزواج في أول تطوره: اتحاد نفسين وتكوينهما نفسا واحدة ، وهكذا ينقلب الضعف الى قوة. وتسمى مثل هذه الخليات جاميتيس (المتزوجين) ويقفان عن العمل مدة بعد اتحادهما ثم يلدان بعدها خلايا أخرى .

« سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض، ومن أنفسهم (بنى الانسان) ومما لا يعلمون » ٣٦ : ٣٦

والعجب أننا نرى في القرآن قاعدة أو نظرية تبرهنها التجاريب العلمية، والتى ذكرت فى الآية قبل منذ ثلاثة عشر قرناً ولكننا نجد العلم الحديث يستنتجها من تجارب مبنية على المشاهدات لا يدخل فيها أى نظرية أو تسليم منقول ! ! (وأود أن ألفت نظر القارى، الى انى لا أقصد من هذه

يدل على تفضيله على غيره . كلا فليس للدين أى علاقة بهذه المقالات: وسيجد القارىء في أخرى آتية أن القرآن اذا أخذ به أفسد نظرية ثابتة علمياً وعملياً).

أسرة الطحالب

والطحالب التى تكلمنا عليها طحالب بسيطة، وهناك أخري مركبة تسمى الطحالب الاولوركية . وهذه أيضاً تبدأ من خلية واحدة ولكنها تنقسم حين تنمو الى قسمين لا ينفصلان عن بعضهما وانما يبقيان مشتبكين ثم ينقسمان الى ربع، ثم هؤلاء الى ثمان وهكذا . وتشبه كل اجرثومة الحرف الافرنكى «S» وعدهما (أي كل خليتين) خيط دقيق . وهذا النوع من الطحالب معروف اذ يوجد حتي فى المياه الجارية. وهذه الجراثيم تكون خيوطاً طويلة . فهل تستمر هذه السلاسل تطول الى ما لانهاية ؟ .

التناسل (الاخراج مرة أخرى)

بزواج وبغير زواج

يجب — اذا أردنا فهم حياة الطحلب الاولوركى — أن نعرف شيئاً يسمى « spore » وهذا يقوم فى النباتات اللازهرية مقام البذرة فى النباتات الأخرى، والفرق هو أن الاول خال من المادة المعروفة التي تسمى الامبريو . فلما تنمو واحدة من الطحالب الاولوركسية تفرز سبورات. وفاتنا أن نقول ان هذه السبورات مكونة أيضاً من خلية واحدة . وتكون السبورات أو أطفال الطحالب لها أجسام كبار نسبياً وأربع «سايات» أى أيد شعرية تسمى « سوارم سبورز » ؛ فاذا كبر الطفل الطحلبى نمت على جانبيه السوارم سبورز ثم تنمو هذه الى طحالب أخري أولوركسية، فهذا انتاج بغير زواج أو لقاح .

أما السبورات التى تفرزها الخيطان فتكون صغيرة بالنسبة الى المتقدمة، ولكل منها سليتان فقط ولا يمكنها أن تخرج سوارم سبورات، وعلى ذلك يتزوج كل اثنين وبعد مدة تظهر السوارم سبورات، وهذا هو الانتاج بالزواج أو اللقاح . ثم تتحول السوارم سبورات أخيراً الى طحالب اولوركسية، وعلى هذا تتم دورة الطحالب : —

(تناسل بغير لقاح أو زواج) :

١) خلية مفردة
٢) خيطان
٣) سوارم سبورز
٤) طحالب

(أو تناسل بلقاح أو زواج) :

١) خلية مفردة
٢) خيطان
٣) خلية مفردة لها سليتان او جاميت
٤) اتحاد جاميتين
٥) سوارم سبورز
٦) طحالب

مستعمرات الطحالب

لتبسيط الخيطان تحرك تطور الجراثيم الطحلبية (...

يبدى تناسل والتناسل بروز ورقى يظهر كتمدد فى الخلية الطحلبية وتنتشر من الطحالب فى شكل فروع، وبينما تكون الخلية الوسطى عاقرا تكون الخلايا الاخرى ولوداً . وتبتعد الفروع عن اخواتها حتى تتقارب وتشتبك وتعلأ فراغا كبيرا .

حول النباتات والخلايا

رأينا أن التناسل بين الطحالب يحصل بانقسام خلية واحدة الى اثنين أو اتحاد خليتين وتكوين واحدة للأخرى وبعبارة أخرى نقول ان التناسل يتم إما بزواج واما بغير زواج. وسنبين فيما بعد فائدة الانتاج اللقاحى . ويجب أن نعلم أن درس الخلية ليس بالامر السهل .

اعتقد الناس منذ ثلاثين سنة أن الخلية ليست الا جسما بسيطا مكونا من بروتوبلازم، أو كما يسميها هكسلى «القاعدة الطبيعية للحياة» وأسرع هربرت سبنسر بالقول بان الخلية جسم بسيط تتسبب فى ايجاد مخلوقات مركبة. فسبنسر عيل فى تفكيره الى الاعتقاد بتطور الخلية من بسيط الى مركب أو كما يقولون من الهوموجينس الى الهتروجينس (اليونانية هترو = غير و هوموس = مثل و جينووس = نوع) ولكننا الآن نحسبه جريئاً من يقول ان الخلية جسم بسيط لاننا عرفنا من النظر الى الخلية خلال مجهر العالم النباتى أن الخلية ما هى الا دنيا أخرى .

يقول البروفسور تومسن في كتابه « أوتليزاف سينس » صفحة (٢٨٨): —

« فصورة الخلية القديمة نقطة من مادة حية لها نواة، أو جدران فى بعض الاحيان، ولكن نزع الميكروسكوب هذا التصور من عقلنا . فيجب الآن أن نتصور سطحاً صغيراً مكوناً من مواد كيمائية مختلفة وذرات مختلفة ونقط من سوائل مختلفة لا تختلط وانما تتحرك دائماً . وتوجد النواة وسط الافرازات والمواد الاخري التي تدخل وتخرج من غشائها . تجد أنواعا كثيرة من الكروموزوم لكل عدد معروف، وكل كروموزوم مكون من ميكروزوفات ملتصقة بشريط شفاف . شىء يعيى رؤسنا . خلية، نواة، كروموزوم، ميكروزوم !! ولكن كل حقيقة » .

وقد يوجد قليب أو أكثر فى كل قلب ويوجد جسم صغير اسمه سنتروزوم داخل كل قلب وهذا يلعب دوراً مهما فى تقسيم الخلايا . وليس هذا كل ما هناك ولكنه كاف لان يرينا دقة تركيب الخلية ففى كل خلية من خلايا جسم الانسان أربع وعشرون كروموزوما، ونعرف أن جسم الانسان مكون من ملايين الخلايا . حقيقة أن فى خلقتنا رهبة وعجباً

شرح بعض كلمات

ماهو الكروموزوم ؟ (يوناني كروم ويساوي لون، والمقطع سوم يساوي جسم) فهى أجسام صغيرة لها عدد معروف فى كل مخلوق عرفه العلم ويمكننا أن نقول ان شكل كل جسم منها منتظم يتحلل فيه كروماتين الخلية قبل ان تنقسم تقسيما ميتوتيكيا.

وما هو الكروماتين ؟ (يوناني كروما وكروماتوس يساوى لون) هو المادة البروتوبلازمية الموجودة فى قلب الخلية، ويقول بعض العلماء انه القاعدة الطبيعية للوراثة وبتحليله كيماويا وجد أنه يحتوى على مركبات بروتينية من الحمض النكليكي (...) وتكون

الكروماتين لاتتكون من خلية واحدة . ونجد انفسنا مضطرين الى شرح كلمة ميتوتيكى (يونانى ميتوس يساوى خيط) وهى الطريقة التى تكثر بها الخلايا .

(انظر قاموس وبستر العالمى)

أسرار أخرى عن الجنس

تجمع الخلية المواد الكثيفة حينما تنمو النواة وتحول هذه المواد الى خيوط تتقطع أقساماً تسمى كروموزومز . ويكون عدد الكروموزومز ثابتاً فى كل نبات . ولما يتم التناسل ينقسم كل كروموزوم الى اثنين وتكون هذه الاقسام سلسلة حلقية ، ثم يذهب كل من صغار الكروموزومز الى خلية جديدة . وعلى هذا تحصل الخلية الواحدة على عدد من الكروموزومز يساوى نفس العدد الذى حصلت عليه أمها قبلها . فاذا اتحدت كل خليتين يكون عدد الخلايا الجديدة مضاعفاً ، واذا استمر هذا يتكاثر عدد الكروموزومز كثرة هائلة .

ولكن كيف يبقى عدد الكروموزومز ثابتاً كما قدمنا ؟ الجواب هو أن الخلية الاصلية أى الأم لاتنقسم دائماً الى كروموزومز تساوى عدد ما انقسمت اليه أمها . فلنفرض أن هناك نباتاً له (٨) كروموزومز فيحصل أن الام تنقسم الى نصفين لكل (٤) كروموزومز، وهؤلاء كما قدمنا جاميتس .

ونجد أن البيضة أو الخلية الأنثى هى الاكبر حجما والأكثر خزناً للغذاء، بينما تكون الخلية الذكرية ضئيلة تكون اللقاح وللخلية الذكرية قدرة على العمل المستمر فهو يسير دائماً من جهة الى أخرى يطلب خلية انثى، فاذا وجدها اتحد معها . وينتج من هذا الزواج ظواهر نافعة للنبات، أما الخلية الواحدة فيصعب عليها التناسل وعلى ذلك يظهر الانتاج اللقاحى على غير اللقاحي ففوائد الأول كثيرة أهمها :

(١) يكون انقسام الانصاف الصغيرة الى اثنين أسهل من انقسام الجسم كله الى نصفين.

(٢) اذا أصيبت الأم بأى ضرر يجد أن هذا يؤثر كثيراً فى الابنة التى تود أن تتكاثر بغير لقاح بينما يمكن تلافى هذا الضرر فى الحالة الاخرى عن طريق الزواج.

(٣) التناسل اللقاحى أسرع من غيره وهذه فائدة عظيمة لتنازع البقاء

(٤) تكون الخلية اللالقاحية ضعيفة بينما تكون اللقاحية عاملة قوية .

(٥) انتقال اللقاح من مكان الى آخر لا يسبب الكثرة فقط بل يساعد أيضاً على الدوام (انظر الأشكال تحت عنوان mitoses فى قاموس وبستر العالمى)

وعلى ذلك يكون التلاقح هو السبب فى الحياة وما علم البيولوجى، أى علم الحياة، الا علم يبحث عن ولادة وحياة وموت الزوجين .

الطفيليات والساروفيتات (فى النبات)

الساروفيت (يونانى ساروس = عفن وفيتون يساوى نبات) والنبات الذى يعيش على الخضروات يحتوى كل نبات على الكلوروفيل أو لون الورقة الاخضر الذى يصنع ما يسمى بالكاربوهيدرات .

...

وهل هناك فرق بينهما وبين النباتات الاخرى ؟ يحصل أن نغرس بعض بذور النباتات فوق نبات آخر حى أو يتحلل فتجد البذرة غذاءها حاضرا (وعلى ذلك تستغنى عن الكلوروفيل الذى يصنع لها غذاءها) ويقضى قانون الطبيعة ببقاء الأصلح، فلما انعدمت فائدة الكلوروفيل صار وجوده مضاداً للقانون العظيم وجزاء مضادته العدم . ولذلك نجد أن معظم الطفيليات والساروفيتات قد فقدت كل كلوروفيل وجدوه فيهما . وتسمى هذه النباتات (Fungi) ويقال انها كانت نوعا من الطحالب تحول الى شكله الحاضر بفناء الكلوروفيل .

فوائد الطفيليات

للطفيليات والبكتريا (وسنتكلم عليها) فائدة مهمة لأنهما عاملان ضروريان للدورة المادية ولدوام الحياة على الارض.

الخبز والكحول :

نأكل الخبز كل يوم ولكن ربما لا نعرف أنه بغير الفنجى لا يمكن تجهيزه فمن أين أتت الفنجى الى الخبز؟ يخلط الدقيق بالماء وتصنع منهما عجينة يضاف اليها قطعة من الخميرة ثم يخلط المزيج مرة أخري حتى تصل الخميرة الي العجينة كلها . وبغير الخميرة يكون هضم الخبز أقل سهولة ويختلف عن الخبز العادى كثيرا . ونجد أثراً ضئيلا للكحول فى الخبز فمن أين جاء هذا ! . اذا تركت الخميرة فى العجين تؤثر فيه تأثيراً كيمائيا فيتحول جزء من السكر الموجود فى الدقيق الى ثانى أكسيد الكربون والى كحول

ولا نقول ان هذا يحصل فى الخبز فقط بل ان كل العمليات الغذائية ما هي الا تفاعلات كيميائية أنتجها عصير وخمر تلعب البكتريا فيهما الدور الاكبر.

أقتل جميع البكتريا الموجودة فى امعاء انسان يصبح ميتاً أو شبه ميت، فما الحياة الا بناء وفناء خلايا فلا يعيش الانسان حياة واحدة ولكن يعيش ويموت ملايين المرات فى اليوم الواحد.

« ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى . ذلكم الله فأنى تؤفكون » ٦ : ٩٦

ويحصل كل ذلك من البكتريا الحقيرة .

البكتريا

كتبت مجلدات كثيرة عن البكتريا ولكن لا نزال على عتبة الموضوع . فالكيمياء وعلم الحياة والطب والتجارة والفنون والصناعات حتى والحياة ماهى الا مسائل بكتيرية .

والبكتيريا (بكتريون تصغير بكترون = عصا) نوع بسيط من الفنجى، ويفهم من الاسم أنها عصى صغيرة، وهذا لاننا اذا نظرنا اليها بالميكرسكوب وجدناها بهذا الشبه . واذا حسبنا حجم البكتريا الواحدة نجد أن القدم المكعب يحتوي على مايقرب من أربع كتريليونات بكتريا . ويدل الباحث على أن للبكتريا أشكالا مختلفة فبعضها كالعصي والآخر يشابه الواو الصغيرة (الكوما) . وأهم أقسام البكتريا ثلاث :

(١) باسلاس	شكلها	كالعصى الصغيرة
(٢) فيريون	«	كالعيدان
(٣) سبريلا	«	مقوس

ولكل مرض بكترياه الخاصة والخوف من البكتريا حقيقى، ولكن يجب أن لا نظن أن البكتريا خلقت للضرر . فلكل بكتريا واجب تؤديه فى الاقتصاد الحيوى ، واذا أصيب انسان بموت أو مرض لاعتراضه طريق البكتريا فليست هذه بغلطة هؤلاء . ومن أهم الحقائق عن البكتريا أنها لاتنمو بالتغذي ولكن بالدخول فى الاطعمة التي تطلبها وعلى ذلك تعيش على حساب مضيفها . خذ الطعام بعيداً عن البكتريا تجد أنها لاتنمو . ولا يهضم أكل ولا يتخمر الا بواسطة ملايين البكتريا الموجودة فى أمعائنا .

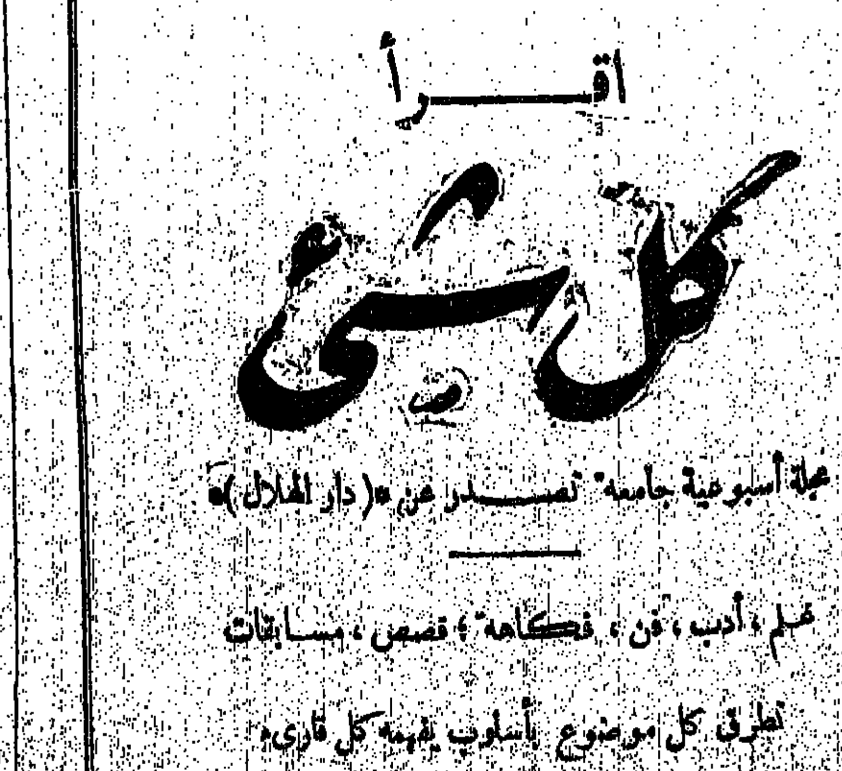
***

وتوجد البكتريا فى التراب أيضاً وبغيرها لا يمكن لنبات أن يعيش أو ينمو، وللنيتروجين بكتريا أكبر أهمية فى الزراعة . فيحتوي الفول والحمص والقمح والشوفان على مادة البروتين التى يوجد فيها النيتروجين بكثرة على هيئة نترات، وتوجد بعض انواع من البكتريا يمكنها امتصاص النيتروجين من الجو وتحويله الى مركبات صالحة للنبات.

وقد ثبت تجريبياً انه اذا اخذنا قليلا من المركبات النيتروجينية التى كونتها البكتريا وخلطناه بتراب آخر فان النيتروجين يزيد وذلك لعمل البكتريا الدائم . وهناك نوع آخر من البكتريا يدخل فى جذور بعض النباتات ويساعدها على امتصاص النيتروجين من الهواء مباشرة ويسمى هذا النوع نيتروبكتريا .

للبحث بقية

سنغافورة ع. و. الجيلانى



الفـــن

يجب أن يكون هادياً ومرشداً

نشرت السياسة الاسبوعية الغراء فى العدد الماضى لأخ أديب كلمة تساءل فيها «هل يجب أن يكون الفن هادياً ومرشداً » وخرج منها بعقيدة معينة فى الغرابة، ودعم هذه العقيدة بحجة مؤداها: اننا اذا أردنا الأدب على أن يكون هادياً ومرشداً، ما استساغته الأذواق ، ولا اشتهته النفوس ؛ لانه يحول جافاً عسراً ..!

ثمة فرق صريح واضح ؛ بين أن يكون الشر أحد موضوعات الفن ، وبين هداية الفن وارشاده، فان الفن لا يكون مجدياً وانسانياً حقاً الا اذا كانت له رسالة سامية يؤديها ، فيكون للناس من ورائها عائدة على أرواحهم ونفوسهم ، كأن يرتقى بهذه الأرواح وتلك النفوس درجة فى سلم التسامي، بأن يعرض لهم بهو الحياة أو حقيقتها . ولكنه فى سبيل أداء هذه الرسالة السامية التى يجب أن تتجه اتجاها بينا نحو المثل العليا، يكون الفن حراً غير مقيد بما تواضعنا عليه من تقاليد ، وما اصطلحت عليه الجماعة من أنظمة . فالفنان الذى يشعر أن عليه أداء رسالة بعينها يتعاقد بينه وبين نفسه على أن يكون مخلصاً وأميناً نحو الانسانية التى منها فنه واليها.. فأناتول فرانس حينما حدثنا حديثه الفاضح فى الزنبقة الحمراء عن الحب الشهوانى الذى يصفه بأنه (الحب الوحيد الصادق القوى) ، وتيودور دستيفسكي حين يتحدث عن الجريمة فى رواية (الجريمة والعقاب)، أو مارسل بريفو حين يعرض لك أدق ما يكون بين العاشق والعاشقة من ملابسات.! كذلك الدكتور هيكل فى روايته الجميلة الاخاذة (زينب) ساعة يصف خلوة حامد وزينب وعناقه وقبلاته .. كل هؤلاء الذين ذكرت حين يعرضون لهذه النواحى من حياة الناس ، لا يشعرون مطلقاً انهم يضللون قراءهم أو يسيئون اليهم، اذ ليس مقصدهم أن يثيروا ما فى النفس الانسانية من حيوانية، وأن يلهبوا خيال القراء بصور مغرية لا تعود عليهم بغير ارهاق أعصابهم وتسميم حياتهم .

ولو افترضنا أن مقصدهم ايقاظ حيوانية النفوس، لما كانت آثارهم فناً ولا شبه فن، لانها فقدت الرسالة السامية التى تغدق عليها جمالها الروحى .

لسنا نختلف فى أن الرقص فن، وفن جميل أيضاً، مارسه أجدادنا ومارسته الاغارقة وابتدع فيه الاوريديون لوناً ايقاعياً جميلا ساحراً ، ولكنا لا نختلف كذلك فى أن (رقصة البطن) شائنة وكريهة وأن القانون أحسن حين صادرها وعاقب من مارسها . أليست رقصة البطن نوعاً من الرقص أيضاً ؟ فلم لم نستعذبه ونتشهاه ؟ ، ذلك لانه لا يتجه نحو المثل العليا ، ولان من يمارسه لا يعلم شيئاً لا قليلا ولا كثيراً عن أمانة الفنان واخلاصه ..

فالفن اذن ، يجب أن يكون هاديا ومرشدا ولكن لا يجب أن نضع فى قدميه أغلالا ولا أصفادا وليكن الشر أحد موضوعاته ، وليحدثنا عن الشهوة وعن الجريمة وعن كل النواحي القاتمة من الحياة الانسانية . لا من أجل الشهوة لذاتها ، بل للاحاطة بهذه الحياة ، ولدرس كل ما يضطرب فى فضائها من معان باهتمام وتأنق ، لامعة وقاتمة . أى لاداء الرسالة الفنية العليا التى يجب أن تأخذ الأهبة للشبابية تبعاً للفن والفنان أيضاً . ولكن ...

قدراً من الضوء أوفر على النقطة التى اطرقها الساعة ؛ استعير مثلا ضربه «تاجور» فى محاضرته التى ألقاها فى مصر : قد تجول جولة طويلة فى معرض من معارض الصور فلا تقف امام معروضاته وتخفه الا لماما ، وبغتة تستوقفك صورة عجوز متهدمة ، أخذت منها السنون كل ما فى وجوه النساء من ملاحة وقسامة واتساق أعضاء، فى مقابل كل ما فى هذه الدنيا من قبح ودمامة تعزف عنهما العيون وتصدف .. تستوقفك هذه الصورة لانك تطالع فيها روح الفنان وذاتيته ورشاقة أنامله ، فتطرب وتعجب بصاحبها . دع عنك نفسك وانظر الى صانعها : فاذا كان قد صورها لانه وجد فيها صورة من صور الحياة فأزجاها اليك وأودع فيها معنى من المعانى ، وبذا فهو فنان بارع جدير بالاعجاب؛ حقيق به ...

أما اذا كان قد صورها لان فى شعوره نقصاً يريه الجمال قبحا ، ويدعو الناس اليه، فهو متهم فى ذوقه، بحيث لا يدخل حظيرة الفن أبداً ..

ونستطيع أن نرمز الى قتام الحياة بما فيها من شهوة وجريمة ، بالمرأة العجوز التى ذكرها تاجور فى مثله البليغ ، الذي نستطيع أن نطبقه على اصحاب الفنون جميعا ، وبذا تتضح فكرتى ..

بقى أن أناقش الاديب صاحب المقال فى اعتباره الفن غاية لا وسيلة ، وهى نظرية لا تقل عن سابقتها غرابة . ولنستطيع أن نصل فى هذا الصدد الى نتيجة نطمئن اليها ، يجب أن نستقرىء «التاريخ النفسى» للانسان . فلقد اتفق السيكولوجيون على أن العامل النفسي الاساسى الذى يسير الناس ويكيف خواطرهم وأحلامهم ، هو إما أن يكون «الرغبة فى الرقى » أو «النزعات الجنسية» أو الاثنان معا . وهذا فى تفصيله لا يهمنا كثيراً ، ولكن الذى يعنينا ، هو أن الانسان لا يستطيع أن يحقق كل غاياته سواء أكانت رغبة فى الرقى ، أو نزعة جنسية صرفة . فيصيب بعض هذه الرغبات ما يسميه الاستاذ سلامة موسى (بالكبت) . أى انها تختفى من حياتنا وتستتر فى قرارة نفوسنا وهو ما يطلق عليه فى السيكولوجية (العقل الباطن) . ولكنها تعود الينا من حيث لا ندري فتبدو فى صورها المفزعة الخطرة حتى لقد تذهب بعقولنا دفعة واحدة .. غير أن العلاج الذى وفق اليه الانسان منذ القديم كان ساميا وكان جليلا لانه (الفن) الذى نعرفه .. فالانسان الذى يريد أن يكون قوياً ، ويصبو أن يكون قاهراً ، فتقعد به وسائله الضعيفة ؛ يجد فى الشعر سلواه وعزاءه ، وذلك الذى تستولى على اعجابه انسانة ما يزال يهجس بها فى أوحشه وقعدته ، وغفوته ويقظته ، يستطيع أن يقبلها حتى يملأ أوامه ويمانقها حتى يبرد غلته .. ذلك فى شعره أو نثره..!

فالفن ليس الا وسيلة ، وحسبى أن الاديب نفسه وصفه فقال انه (الاداة) ...

أجل ! انه الاجنحة التى تسمو بالانسان نحو هذه المثل التى تبدو أمامه رائعة ... الينا بنفسه ، وتسمو اليها روحه.

نقد وتحليل

في عالم الشعر

ماهيته — تسميته — مبدؤه — مستقبله — الجمال الفني فيه
شعراؤنا وشعراؤهم — بماذا ينهض الشعر العربي ؟

الشعر هو تلك الموسيقي الالهية التي تنصب في النفوس فتمتد أمامها مطارح التأمل محفوفة بأفانين الحسن ونواحي الخلود ...

هو وحي يهبط على القلب فيوقظه من غفوته ليري عظمة الحياة وسرها الدفين ...

هو ابن الطبيعة الذي نشأ في أحضانها فخرج من الزهرة أريجا ومن الجداول أناشيد ومن النسيم رقة ومن الشفق حمرة ... هو لغة القلب وحديث الوجدان ...

هو كما قال (جيته) انجيل أرضي يحررنا من أعباء الحياة ويبعث فينا شعوراً بالراحة والسعادة.

أو كما قال (هازلت) انه لغة عالية يتعلمها القلب مع الحياة.

أو كما قال (شلي) انه يميط اللثام عن جمال الحياة الخفي ؟

أو كما قال (أرسطاليس) ان الشعر بجميع أنواعه مظهر من مظاهر التقليد الذي تتركز غريزته في أعماق الانسان؛ كما أن حب الموسيقي والغناء غريزة متمكنة فيه. وقد نشأ الشعر تقليداً واجابة لداعي هاتين الغريزتين الاخيرتين . . . الغناء والايقاع .

والشاعر هو بوق الطبيعة والدليل الحي على رقي الانسانية ؛ قد سأل الله عند ما خلق الارض ولم يجد لنفسه فيها مكاناً ... إلهي !! دلني على مكاني فاني لم أجده هنا .. فاجابه مكانك في السماء بين النجوم ... وهكذا نسجت نفس الشاعر من خيوط النور الالهي وصارت له عواطف حساسة ترتعش أمام نسمات السحر وتنهدات الليل . . . عواطف طهرتها الآلام وغسلتها الدموع فاصبحت شفافة نقية ..

* * *

وبعد فهذه آراء متباينة لكبار الشعراء والكتاب في الشعر وهي ان اختلفت في مبناها الا انها تلتقي في نقطة واحدة، وهي أن الشعر فن جميل ترى فيه الانسانية ناحية من نواحي المثل الاعلى الذي تنشده في الحياة، وأن الشاعر نبي يحمل رسالة الحق والجمال فتنعم بها الارواح وتطرب لها النفوس وترى في ضوئها نواحي العظمة والخلود .

اذن فالشعر ليس كما يقولون «الكلام الموزون المقفى» انما النظم هو الجدير بتلك التسمية ، وشتان بين الصنعة الآلية والشعور الفياض الذي يغمر الحس والفؤاد فاذا هو لحن في قيثارة، أو ظلال على لوحة، أو ألفاظ على قرطاس.

أول ما يتبادر الى الذهن ان لفظ الشعر مشتق من الشعور لانه يصدر عنه ويترجم خلجاته ونوازعه وهذا صحيح، ولكن هناك تعليلا أحدث لتلك التسمية وهو ان الشعر مشتق من « شير » العبرية ومعناها الغناء الذي هو أساس الشعر وأي... [illegible]

[illegible]

مما لا شك فيه ولا يتعارض مع المنطق أن العاطفة أقدم من العقل وانها سبقت وجوده، وتلك نتيجة طبيعية للاحوال الخاصة التي كانت تحيط بالانسان في فجر الخليقة إذ لم يكن أمامه ما يستدعي تأملات الفكر ونشاطه بل كان يحيا حياة ساذجة فطرية أقرب الى الحيوانية منها الى الانسانية، ولم تكن تلك الحياة بطبيعتها تستغرق شيئا سوى العواطف المتباينة في النفس كالحب والبغض والحماس والانتقام والغضب والرضاء ثم أخذت الحياة تخضع لناموس التحول والترقي وطفق العقل تبعاً لهذا الرقي ينشط شيئاً فشيئاً من خموله وضعفه لان مناحي الوجود تعددت أمامه وأصبح من اللازم أن يستعين على معالجتها بعقله، وبذا أخذت العاطفة في التقهقر والانزواء وراء سلطان الفكر.

والدليل على تلك الحقيقة هو أن الانسان يكون في حياة الطفولة بارد العقل خامده مستيقظ العاطفة متوقدها فيحب والديه ويخاف من الظلام غير أنه لا يستطيع أن يتبين النافع والضار فيقبل على الاول ويتجنب الثاني، ولكنه كلما شب ضعفت عاطفته واستيقظ عقله حتى يأتي الوقت الذي يكون فيه لذهنه السيطرة التامة على عواطفه واحساسه.

نستنتج من ذلك أن الشعر أقدم من النثر لان الاول لغة العاطفة كما أن الثاني لغة العقل والاختراع. وقد ظهر الشعر أول ما ظهر في شكل أغان كان العرب يحدون بها الابل ليستحثوها على السير. وقد لبث الشعر ثوب الاغاني في أول ظهوره لان العاطفة كانت ولا تزال تتأثر بالالحان وتجد فيها نشوة ولذة مهما كان لونها . ومما يجدر ذكره أن أساس آداب الاغريق « الياذة هوميروس » كانت تغنى وتوقع ومن ثم أخذ الشعر يلقى غير مشفوع بالانغام وان كان الانسان لا يرتاح الى قراءته الا اذا انشده انشاداً .

بعد ذلك نتساءل ما هو المقياس الذي نتخذه للحكم على الشعر ونصيبه من الرداءة والجودة ؟ أو بتعبير آخر: متى يكون في الشعر جمال فني تتذوقه النفوس وينال رضاها واعجابها ؟

هذا الجمال الفني يجب أن نلتمسه في اللفظ والمعنى أو اذا شئت في المادة والروح كما نفعل ذلك في أي أثر فني آخر. ولنفرض أن أمامنا تمثالا تناسقت أجزاؤه الى أشد ناحية منه، وكان يوحي بأرقى المعاني وأسماها ولكنه كان مصنوعا من نوع رديء من الحجر ذي لون ينبو عنه الذوق فهل كنا نستشف فيه الاستساغة التامة ونعجب به الاعجاب الكامل ؟

واذا كنا في النحت والتصوير نعنى بالمادة فنحن في الشعر أشد بها عناية واهتماما ذلك لأن الشعر موسيقى قبل أن يكون شيئاً آخر. فاذا نحن سقنا الالفاظ على عواهنها ولم نراع فيها الاختيار [illegible]

[illegible]

يعالجها حتى يكون فيه جمال يضمن له البقاء ؟؟ أو بتعبير آخر: ما هي الموضوعات الخالدة التي تسبغ على الشعر حلة الحسن والقوة ؟

تتلخص هذه الاغراض في كلمة واحدة هي الانسانية ، والانسانية ضاربة في أعماق القدم، كما انها ستمتد الى الازل . ولذلك فهي ليست وقفاً على جيل دون آخر أو زمان دون زمان بل هي ارث مشاع متسلسل. فاذا أنت تناولت ناحية من نواحيها وأخذت منها مادة شعرك فهو لا ريب باق على الايام يزداد قوة ونماء . وأقصد بالانسانية هنا صميمها الثابت لا أعراضها المتغيرة المتحولة .

واضرب لذلك مثلا «شكسبير» و «بن جونسون» فانهما وجدا في عصر واحد بل كانا صديقين حميمين وكلاهما كان شاعراً ألف الدرامات. ولكن لماذا خلد «شكسبير» ولم يخلد صاحبه ؟ الجواب على ذلك سهل نجده فيما سطره الاثنان «فشكسبير» كان يصدر في كل ما ألفه عن صميم الانسانية والحياة، بينما كان «بن جونسون» لا يعرض الا الى نواحيها السطحية التي لا تقوى على مجابهة الايام، ولذلك فكتب شكسبير لن يتطرقها الفناء وسيجد فيها الناس قوة ولذة في أي وقت وأي مكان . زيادة على ما تقدم يجب أن يكون الجمال الشعري متوافراً في (الوحدة) وهي البيت والقطعة في مجموعها مع فناء كل منهما في الآخر بحيث اذا أخذنا من القصيدة بيتاً واحداً بدت متداعية تريد أن تنقض .

ومادمنا في معرض الكلام عن الشعر الحسن يحسن أن أنقل للقراء كلمة عن الشاعر المبرز وهي للناقد الانجليزي الكبير «صمويل تايلرور» ... يقول: «ان الشاعر الموهوب هو الذي يستطيع أن يحرك نفسك من أعماقها ويثير كل ناحية من نواحي شعورك فيجعلها تتجمع في نقطة واحدة بتلك القوة السحرية التي أسميها التصور أو الخيال» كما لا يفوتني أن أترنم ببيت الاستاذ الزهاوي في تأثير الشعر الصحيح في النفس :

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقاً أن يقال له شعر

بعد ذلك دعني أتساءل عن مستقبل الشعر وهل سيكون حظه بعد أجيال كحظه في الماضي ؟

ان العالم الآن ينصبغ باللون العلمي الخالص كما أن المزاج الادبي ينحط ويضعف، فالنظريات العلمية والثقافة المادية هي شغل الباحثين الآن وبذلك تدهورت العاطفة وأخذت طبقة كثيفة من الغبار تخفيها وتغطيها وقد نشأ عن ذلك أن دب الفساد الى أمزجة الناس وانصرفوا عن الشعر وأخذ الجمود والجفاف يسيطران على كل جوهرهم وكتاباتهم .. ثم اننا نلاحظ ان تلك العقيدة الدينية التي تتصل بالروحانيات — وكان أغلب الشعر يصدر عنها — قد ضعفت وتلاشى سلطانها. والنتيجة المنطقية لذلك هي ضعف الشعر وانصراف الناس عنه الى النثر .

زد على ذلك ان الدرامة الآن لا تكتب الا بالنثر لما تتضمنه من حوار وتقسيم لا يتسع لهما الشعر، وبذلك فقد الشعر أكبر عامل من عوامل تنشيطه وبعثه .

كما [illegible]

ولذلك فسيكون المستقبل للنثر وحده وستكون دولته هي الغالبة ... !

وقبل أن أختم كان يجدر بي أن أكتب كلمة عن الشعر العربي والشعر الافرنجي فأقول: ان من يوازن بينهما يجد فرقا عظيما وبوناً شاسعاً في المظهر والاغراض والتطور ، فالشعر العربي يرسف في قيود الصناعة والتكلف والقافية الجامدة ، فليس ثم شيء سوى المدح والهجاء وما اليهما من الاغراض التي لا تتصل بالعاطفة والوجدان .. فأين اذن تحليل عواطف النفس وخلجات الوجدان ؟ أين تلك الحرية التي يتسم بها الأدب الغربي وبخاصة الشعر ؟ الحق ان الشعر العربي فقير جداً من تلك النواحي، وهو ان عالجها ففي سطحية وعدم تعمق . زد على ذلك ان شخصية شعرائنا مفقودة ضائعة ، وليس لهم طابع خاص يطالعك من ثنايا شعرهم فيمكنك أن تعرف كلا منهم بمجرد قراءة شعره . ولكنك اذا قرأت مثلا (الفرد دي فيني) أو (لامرتين) أمكنك أن تلمس روحيهما من خلال السطور. ولا يعجبني أحد من الشعراء المصريين — على كثرتهم — سوى أفراد قلائل عرفوا الشعر وتذوقوه وعلموا أنه خلاصة الانسانية والحياة .

فياشعراءنا المحترمين .. اكسروا تلك القيود التي تحبسكم في دائرة ضيقة ، فللجاهلية رمالها وخيامها وطريقة تفكيرها ، أما نحن فلنا حضارتنا وجمالنا ، فعيشوا في القرن العشرين .. كونوا مجددين دائماً .. ادخلوا بدل أغراضكم القديمة شعر العواطف والشعر الوصفي والقصصي ثم لا تنسوا الاغاني الرقيقة السامية فهي عصارة القلب البشري ...

بينت أن الشعر العربي يمشي بخطى السلاحف وأنه متأخر يعاني من القيود ما يكاد يقصم ظهره. وها أنا أدلي ببعض الاقتراحات التي تكفل — اذا عملنا على تحقيقها — انهاضه وفك القيود التي يرسف فيها . واني أعتقد ان أول هذه القيود هو القافية التي تحد من حريته وتجعله لا يكاد يتنفس ، فيجب اذن أن نتخلص منها ، وأن نستعيض عنها بما يسميه الافرنج Blan Verse أو على الاقل نغيرها كل بيتين أو ثلاثة، وبذلك لا تتحطم على صخرتها عرائس المعاني وأبكارها . ثم ان هناك سبباً آخر خارجا عن طبيعة الشعر نفسه وهو انصراف القدماء عنه لعدم وجود ثقافة فنية تحبب الى النفس كل أثر فني جميل ؛ فيجب اذن أن نعنى بتربية أذواق النشء، ونحبب اليهم الادب حتى يقبلوا عليه في لذة وشوق . ولا أنكر جهود الجامعة المصرية في تلك الناحية التي ستكلل ان شاء الله بالنجاح فيكون لنا شباب يقدر الجمال ويتهافت عليه .

بني سويف — محمد أحمد شكري

بحث وتحليل

الجمال الحديث وروح العمل

وأثرهما في توجيه التفكير والتطور الذهني

ان أجلى ما نراه اليوم في دراستنا للجمال هو أن النظرية القديمة قد بدأت تتلاشى من سنوات ماضية غير بعيدة؛ وهي تتحول وتتغير اليوم الى الناحية التي ستقف في المستقبل عندها أو التي ستظل دائبة دائمة على « تحويلها » . وبسائط النظريات تمهد لنفسها بديهيات، والبديهية في هذه النظرية أن كل ما كان يتعلق بالجمال القديم من وسائل ونواح، وبالتالي كل تفرع ثانوي من هذه النواحي؛ يصير باطلا بانقلاب النظرية أو بتطورها الناحية الانقلاب .

ولم يكن الجمال في حاجة الى دعاية أو شبه دعاية، فدولته القوية وأحكامه وأساليبه وغرائزه جعلت منه قواعد يتبناها الناس ويرضون بها. ولكن الجمال الحديث هو صاحب هذه الدعاية النشيطة العريضة المنتشرة اليوم بوسائل كثيرة . وهذه الوسائل أنشئت لتنشيط هذه الدعاية أولا ولابتناء أسس الجمال الحديث الذي يعاني « عدم التركز » على الرغم من انتشاره. فنوادي الالعاب والتدليك الكهربائي وعلم الجراحة المختص في الجمال والمحاضرات عن الازياء والبحوث في تأثير الولادة والزواج على جمال المرأة وأدوات الجمال الصناعي وغيرها هي اليوم « بروباجندا » الجمال الحديث . والجمال الحديث ليس في نكهته « غلاميا صميا » كما تسم الكلمة ، ولكنه غلامي النزعة تسوى اللون والصبغة .

وأنت ترى أن الجمال الحديث يزداف في انسيابه الى النفس بوسائل محبوبة من النفوس، ويكفي أن أشير الى السينما ومعارض الجمال والأزياء والمسابقات فيهما والى الرقص الحديث الذي ساد المراقص وغلب عليها الرقص القديم الذي لم يعد لائقاً بالمرأة الحديثة كبعض هذه الوسائل .

فهل كان الجمال القديم خليقا بالتشارلستون والجازباند الامريكي ؟ أو كان خليقاً ببرلمانية المرأة في العدو السريع وادارة السيارات والمراكب الهوائية وضروب الحذق الاخرى ؟ وهل كان حاذقاً أو قويا على احتمال مشاق العمل ومزاحمة أكتاف الرجال ؟ ان النساء اليوم لم يعدن نساء كما كن في الماضي، بل هن اليوم في نشأة جديدة تسعى الى توطيد دعائمها في حساب الجمال الحديث . وأنا مسوق الى أن أحدثك حديثاً بينا عن هذا الجمال ، وأن [illegible] المختار ولتعرف كيف أن هذا الجمال [illegible] فجر الثورة على المرأة واقتصارها على الرجل، وأول ما يتسم به الجمال الحديث انه هدام للقديم غير مبق على آثاره [illegible] النساء على الجمال القديم عامة [illegible] حيث تبرز المرأة كثيراً في ميادين العمل [illegible] شعورها بالكره والمقت والازدراء للجمال القديم الذي كان [illegible]

المتصلة بالصبغة معه كالثياب. وقد شهد الاخصائيون في ملابس النساء ان « الموضات » أضحت كثيرة وأنها دائماً وداعاً تقلب هذا لتبسط ذاك ! فما علة هذه الحركة العصبية التي لا تستقر في ابتكار اثواب النساء وزينتهن ؟ ليست مجرد البدعة فحسب بل انها مرقاة لتوحيد زي أو لتكوين زي يلائم الجمال الحديث .

ان الأديب المجدد يعاني اليوم ازورار الناس اذا تخطى قيود الأدب القديم ونحا أسلوبا جديداً أو مبتكراً .. ولكن المرأة لا تعاني الا ألما في ثورتها الجامحة على الجمال القديم. فأنصار هذه النظرية ينقرضون، وليس انقراضهم الا لاندماجهم في كتلة المجددات واعترافهم بعد المكابرة بجمالها ! .

وليست مسألة الزي عند النساء الا ترديداً لروحها النزاعة الى الجمال الحديث وجسمها الذي تسعى في تكوينه وملاءمته على قواعد الجمال الحديث. فهي في أي صورها لا تريد أن تكون شوهاء، وتسعى الى امتنان الجمال الحديث الى أقصى حد يقبله جسمها وتقوى عليه .

والاحجام عن الزواج ، أو التفكير في اقلال النسل، رغبة خفية منها في صيانة صباها وجمالها الذي تود أن تجدده وأن تخلده .

وان كان للعلم فضل في تثبيت هذا الجمال ففضله مقصور على اشباع الرغبات وليس استنباطها . والجمال الحديث لا كلفة فيه بل بساطة وروعة . تقرأ المرأة أن العين الساجية كالسهام المريشة، فتحتال في تلوينها وتظليلها بمساحيقها وأدواتها حتى تكسبها ساحريتها ، وأن الوجنة الجميلة كقشرة التفاحة الناضجة المشربة بالحمرة، وأن الشفتين يجب أن تكونا قرمزيتين لاجتذاب الرجل، وأن الشعر الطويل لا يلائم روح العمل ، فتعمد الى تنفيذ ما تراه صالحا لها ولجمالها ثم تعمد كذلك الى روح العمل السارية في هذا العصر وتدرس نفسية الرجل العامل الذي لم يصبح صبوراً أو غبياً كما كان [illegible] من آثار عنايتها بجمالها الحديث ..

ومن هنا تبرز نظرية أخرى ، وهي أن تعميم الجمال أصبح سهلا وميسوراً ومنتشراً في هذا العصر عن الماضي .

[illegible]

الصوفية في الحب والركون الى الذكرى نادراً في هذا العصر الشديد الحركة ان لم يكن محالا وصار الحب ميالا الى نوع من « الاتوماتيكية » حتى لا يضيع وقت أحد الحبيبين سدى في شاعرية لا تليق الا بالروايات لما حوته من عذاب وشقاء وأنين ووفاء. ومن هذا الجانب تنبت قاعدة قوية وهي القائلة بان الشاعرية التي تلمس أثرها في كتابة شكسبير ولامرتين وهوجو وجوت أو ابن أبي ربيعة وقيس وغيرهما من الغزلين قد ذوت نضرتها، وان لم تزل هناك بقايا بريئة قليلة في كمال القديم وروعته . وهذا العجز ليس الا نتيجة المادة والعمل والصناعة والصبغة اليدوية الصناعية التي تبرز في الكهرباء وفي الطيارات والسيارات والتلغراف بل وفي الحدائق العامة، فمساحات الربوع الطبيعية الخلوية تضيق في كل يوم ويحل بدلها مصانع ومتاجر وهي التي كانت في الماضي وحي الالهام للشعراء والكتاب في شحذ قرائحهم .

فانت ترى ان الجمال الحديث ليس معناه ضيقاً على ناحية المرأة الظاهرة في تكوين جمالها بل هو يمتد في تأثيره الى الحب والتصوير والموسيقى والرسم والرقص وكل فن يبتني على العاطفة ..

فالعاطفة اليوم عند المرأة في ملبسها ورقصها وشعرها وميولها غير عاطفة جدتها، ويمكننا على الاصح أن نسمي القرن العشرين نقطة التحول النهائية الفاصلة عن القديم . فالقديم عندنا بقايا لم نزل نلتمسها في بعض المناطق الطبيعية في سويسرا ورومانيا واسبانيا وغيرها ، وللحب الأفلاطوني آثار أيضاً؛ والوفاء نصيب كذلك بين المحافظين على القديم والذين دخلت المدنية الصناعية اليوم متأخرة أو لم تزل على قديمها كما في بعض مناطق أفريقيا والصين وروسيا. فالعادات والدين بين سكان تلك البقاع لم تتغير ولم تتبدل عن أسلافهم .

وان كنا نرى الى جانب هذا الحب الاتوماتيكي والزواج السريع والطلاق والافتراق والموسيقى الصاخبة والاحتيال في التصوير بالآلة بدل اليد كثيراً لخفتها وسرعتها وأدائها الواجب وفي المواصلات بالكهرباء في جوف الأرض وعباب البحر وغمار الجو ، والتفاهم باللاسلكي بين طرفين كل منهما يبعد عن الآخر مئات أو آلاف الأميال في دقائق، وفي الرقص العنيف الذي يتماشى مع السرعة الجارية في نواحي المعيشة، كما نرى أيضاً الوفاء الذاتي يتبوأ مركز الوفاء الذي تنعدم فيه الذاتية . ولتوضيح ذلك أقارن لك [illegible] التي كانت من شيمة القدماء. أما الضيافة الحالية فأساسها المادي المصلحة والوفاء لا يتسع لان يتطاول في هذا العصر الى أكثر من عاطفة خفيفة ولكن دون مساس بالمادة، وقديماً كان الوفاء والروح والمال شيئاً يتفاخر به الاوفياء .

[illegible]

يكون جيل « السبرمان » كما يتكهنون الى الآن أن الدين والايمان يدلاننا على أن روح العمل وان تكن قد قوت ملكة التفكير والنشاط والرقي المادي الا انها هبطت بالاخلاق هبوطاً مخيفاً .. فبعد انتشار روح العمل الآن نرى وهن الرابطة الزوجية والاخلال بالكرامة والضعف الخلقي العائلي وقلة العناية الصحيحة بالشؤون الروحية وتبسم المصلحة والجشع والتنافس والاخير قد يكون نافعاً جداً للمجموع وقد يكون نكبة أيضاً . كما أن الرابطة الدينية تلمس في المناطق الصناعية كذكرى للبدعة أو موروثة في أيام قليلة، والدافع اليها بقايا الورع الديني الماضي فهل يتلاشى الدين أيضاً ؟

ان رابطة الأخلاق ، كالوفاء والاحسان والحب والاخلاص، شديدة الضعف في البيئات الصناعية. وقد تكون النقابات احدى الوسائل المخففة التي تغطي هذا الضعف الخلقي وان كان الاصل الأول الدافع في تكون النقابات هو التعاون ضد صاحب العمل وتقوية مركز العامل البسيط بالتضامن .

والأخلاق هي احدى صور الدين، وان كنا نرى قيام الواجبات لم تزل قائمة فيها فانما ذلك بتأثير العاطفة القديمة والوعظ والطباع الموروثة. أما روح العمل فهي تدل على أن الانسان قادر على خلق قوى هائلة .. تداني الكهرباء والبخار وجعله كذلك يفكر في تصميم على اختراع « الانسان الصناعي » .

وليس أدل على الضعف الخلقي في البيئات الصناعية من مقارنتها بالبيئات الزراعية التي تحسبها البيئة القديمة الباقية . فأهل البيئة الزراعية يمتازون بتغلغل الايمان في صدورهم عن أهل الصناعة. والتفكير القليل في هذه الناحية يثبت ما ذكرنا وان كنت أعتمد كذلك على أن الضعف قوي في البيئات الصناعية بما ذكرت من أدلة عن الصلات الشخصية والروحية والمادية وروح التذمر والاضراب وغيرها :

وفي الحق أن التكهن بما بعد ذلك يدور بالغيب ؛ ولكننا ان رجعنا الى الماضي وأردنا قياس النظريات القديمة بما يجري في الحاضر أمكننا أن نستبين بصيصاً من الحقيقة، فالثورة الفرنسية أو الروسية الأخيرة [illegible] تعاليم قديمة وعقائد موروثة [illegible] الآن تقريباً، وهي في طريق التلاشي في روسيا أيضاً . وذلك لأن الثورة في كلتيهما أوجدت نظريات رائعة محببة الى النفوس عن نظريات العصور [illegible]

ولقد أثبت جاليليو أن الارض كروية وكان الاعتقاد قبله منافياً لما أثبت [illegible]

بحوث اقتصادية

هل يمكن للصناعة ان تقوم في مصر ؟!!

— ١ —

مقدمة — نظرة تاريخية — العوامل الاقتصادية لقيام الصناعة

١ — مقدمة

... هناك عقيدة فشت في أغلب الأوساط الاقتصادية في العالم ، وهي أن مصر لا يمكن أن تكون يوماً ما بلداً صناعياً ، وانما لذلك يجب أن تلتفت الى شؤونها الزراعية علها تصيب متوسط للزراعة الاقتصادية التي اجتاحت العالم في الفترة التي تلت الحرب الاخيرة .

فهذه العقيدة التي تحاول اليوم القضاء على مصر ومستودع آمالها ، هي عقيدة فاسدة مشيدة على أساس واهية ، فالزراعة في مصر مهما كانت ، غير كافية بحاجات السكان ومرافقهم ونزوع الشعب نحو التطور والتجديد ؛ وان الكماليات التي تتطلبها المدنية الحديثة تستدعي الثروة التي لا يمكن مطلقاً الحصول عليها من الزراعة ؛ هذا فضلا عن أنها أصبحت حرفة الشعوب البربرية التي يدعو اليها حوضا التشبع بالكسل والراحة .

واليوم وقد قطعت مصر أشواطاً بعيدة في سبيل التقدم والرقي الذي شمل جميع مرافقها الحيوية ، فالسؤال الذي يدور بخلد الاقتصاديين والمواطنين : هل يمكن لمصر أن تصبح يوماً ما بلداً صناعياً ؟ تعلو في شوارعها فوهة عاليات دخان مصانعها ويصم أذنيك أزيز محركاتها الآلية ؟ وان تخرج هذه المصانع منتجات مصرية في موادها الأولية ورؤوس أموالها وبدها العاملة ، وان تستطيع أن توقف تيار منتجات المصانع الأوربية والأمريكية التي غمرت أسواقها ؟ .

والجواب على ذلك ليس في علم الغيب — كما يقولون — بل هو غاية في البساطة فامامنا تاريخ مصر الصناعي بادواره المتباينة ، وأمامنا العوامل الاقتصادية التي تؤدي الى قيام الصناعة في بلد ما نبسطها الواحدة بعد الاخرى ، ولعلنا ، على ضوء هذه البحوث التي نسكبها ، نستطيع أن نخرج بك من حيرة الشك الى عقيدتنا الثابتة : وهي أن مصر تصلح الآن لأن تكون بلداً صناعياً وان نقضي على هذه الفكرة التي تفلغلت في أغلب الاوساط الاقتصادية والتي ظلت مصر أسيرتها طوال هذه السنين .

٢ — نظرة تاريخية

ان من يلقي نظرة واحدة على تاريخ الصناعة في مصر ليثبت لاول أنه أتى عليها دور تملكت فيه ناصية الصناعة في العالم كله ، كما ملكت ناصية الزراعة ، ومر عليها حين من الدهر كانت منتجات مصانعها تملأ أسواق الشرق بأسره في شمال البحر الأبيض المتوسط الى حدود [illegible] .

وان زيارة واحدة الى [illegible] المصرية ، وجولة قصيرة بين مخاصيرها وردها لتثبت [illegible] عن قوتها ، وهي احتلال مصر الأسواق الشرقية في عهد من العصور ومن الصانع المصري [illegible] وساروا في ميدان المسابقة .

فهذه الاهرامات والمعابد والهياكل [illegible] السلف تدل دلالة واضحة على تقدم صناعتي النحت والبناء في ذلك العصر . وهذه التماثيل الباهرة والاثاث الفخم والاواني الزجاجية والخزفية والجثث المحنطة تثبت لك ولاشك ارتقاء صناعة النجارة والزخرفة والكيمياء .

ولم تقتصر تلك الزعامة الصناعية على عصر الفراعنة فحسب ، بل تعدته الى عهد دخول العرب مصر ، وهاهي المساجد والعمارات الاسلامية ، والمباني والآثار العربية تدل على قيام وارتقاء صناعتي البناء والنقش خاصة في عهد الفاطميين . وهاهي « دار الآثار العربية » مملوءة بكافة أنواع المصنوعات العربية التي سما بها صانعوها الى أوج الكمال الفني . وقد بلغ من شدة اعجاب السلطان سليم الاول بمهارة الصناع المصريين أن جلب معه نحو الف منهم ليزينوا جوانب الاستانة وينشروا بدائع الفن بين ربوعها .

ولقد اضمحلت الصناعة عقب ذلك بسبب غزو أو فتح أو مجاعة أو ما شاكل ذلك ، وخاصة في عهد المماليك الذين أرهقوا الاهالي بمختلف الضرائب الباهظة وزاد ذلك الانحطاط الفتح العثماني واكتشاف رأس الرجا الصالح فالأول نقل الخلافة من القاهرة الى الاستانة ، والثاني أفقد مصر ميزتها كطريق بين الشرق والغرب . وبالاجمال فقد مرت على مصر فترة مظلمة توارت وراءها شمس مجدها الصناعي ؛ حتى قيض الله لها المصلح الكبير محمد علي باشا يحمل لواء النهضة والاصلاح فانتشلها من كبوتها . ولقد برهن هذا الرجل بما أوتيه من قوة الذكاء وحدته على ان النشاط الصناعي كامن في مصر لا يموت أبداً وأن عازه قائد لحركته .

ولم يمض وقت طويل حتى أحيا هذا الرجل المصلح ما اندثر وتوارى من الصناعات الاهلية . وأقام الصناعات البحرية والحربية بأنواعها . وانشأ الطواحين والمصانع والمغازل على الطراز الحديث لغزل القطن ونسجه ، وكانت آلاف المصانع المنتشرة في دمياط والاسكندرية ورشيد والقلعة وأبي زعبل تملأ أسواق القطر المصري وتموّنها حتى فاضت الى حدود خط الاستواء جنوباً ، وسوريا والعراق والحجاز شرقاً ، وتونس والجزائر وطرابلس غرباً ، وشبه جزيرة البلقان وتركيا شمالا .

وشهدت مصر دور انتعاش اقتصادي لم تشهده منذ مئات السنين ، فازدهرت بها عدة صناعات كغزل القطن ونسجه ، كذلك صناعة الطرابيش والاسلحة ومهمات الجيش والترسانة البحرية ، واستخراج المعادن والزيوت وعمل الزجاج والورق والسكر والصابون والفخار والطباعة والاصباغ ومنتجات الالبان ودبغ الجلود وملح النوشادر ، لقد كان في مصر في ذلك الحين ١٦ مصنعاً تنشئ [illegible] ولم يبق منها الى اليوم واحد .

[illegible] الصناعة على ماهي عليه حتى [illegible] بصره وراحته واعطائها جانباً من رعايته واهتمامه الى أن نكبت بوفاته عام ١٨٤٩ واضمحلت وأخذت عوامل الضعف وتغلب الاطماع تنشب أظفارها فيها حتى أتت عليها ؛ ولم يبق منها الا النزر اليسير .

وقد أدى تداخل الاوربيين في شؤون مصر وسعيهم في تبديد ديونها في أواخر عهد اسماعيل الى القضاء التام على كل الجهود الصناعية التي بذلت وعلى البقية التي ظلت مصر محتفظة بها ؛ فاقفلت المصانع والورش الواحدة بعد الاخرى وبيعت بثمن بخس الى الشركات الاجنبية التي عملت جهد طاقتها على اغلاقها لتضعف الصناعة الوطنية كما فعلت أخيراً « الشركة التشيكوسلوفاكية » مع مصانع طرا ايش قها .

وقد ذكر الاستاذ الفاضل « مليكة بك عريان » في كتابه « مركز مصر الصناعي » ان « الحركة الصناعية المصرية في أوائل القرن الماضي بلغت درجة لا يستهان بها وكانت آخذة في التقدم والصلاح رغم عدم وجود الفحم والحديد في البلاد المصرية . ولو سار المصريون على خطة محمد على بهمة ونشاط لكانت مصر الآن في مصاف البلاد الصناعية المشهورة » .

٣ — العوامل الاقتصادية لقيام الصناعة

ان قيام الصناعة في بلد ما ليس بالامر الهين اليسير ، بل ان هناك عدة عوامل خاصة وقيود موضوعة تشترط لقيامها ، وهذه الشروط نلخصها هنا مطبقة على حالة مصر حتى تثبت لك ان قيام الصناعة بها في حيز الامكان :

١ — القوة المحركة

وتشمل الفحم الحجري ، القوة المائية ، ويعبرون عنها بالفحم الازرق ، مساقط المياه ، ويعبرون عنها بالفحم الابيض ؛ ثم غاز البترول .

ويعتبر الفحم من أهم الشروط لقيام الصناعة وأولها ، ففي المانيا وفي انجلترا قامت الصناعة بالقرب من مناجم الفحم حيث وجد صاحب المصنع أول عنصر لتكوين الصناعة وهي القوة المحركة والوقود وقلة تكاليف انتاجها بسهولة الوصول اليها .

ونحن في مصر ليس لدينا فحم ولا حديد وهذه هي النظرية التي يتمسك بها القائلون باستحالة قيام الصناعة في البلاد . « ولكن الفحم الذي ينقص بلادنا لا يصح أن يكون سبباً في وقف جهودنا على الزراعة والا فان انجلترا وأوربا التي لا تصلح فيها زراعة القطن يجب الا تغزل منه شيئاً لان بلادها لا تنبته ، وسويسرا التي لا تستخرج من جوف بلاده طناً واحداً من الفحم يجب أن تقفل مصانعها . والحقيقة ان الامم تتبادل المنافع وان لكل أمة مجهوداً عالياً من الانتاج تستطيع أن تصل اليه بقوة ارادتها (١) » .

والحقيقة انه يمكن استيراد الفحم بسهولة وبكميات وافرة بفضل وقوع مصر في ملتقى الطرق وكثرة مرور مراكب الفحم الاسود على موانئها وان كان ذلك سيكلفنا كثيراً الا أن لدينا رخص اليد العاملة ورخص المادة الاولية .

غير انه يمكن ايجاد القوة المحركة بسهولة من خزان أسوان بتوليد الكهرباء من المياه المتحدرة ، أضف الى ذلك مشروع القطارة الذي يرمي الى تحويل جزء كبير من الصحراء الغربية الى منطقة صناعية بواسطة انحدار الماء أيضاً .

وهناك نظرية جديدة تقول بوجوب استخدام أشعة الشمس في ادارة المحركات الآلية ، ولو نفذت هذه النظرية لتحولت صحراء مصر الى منطقة صناعية من أعظم بقاع العالم .

أما زيت البترول وامكان استخدامه في الصناعة ، فرغم أمر اكتشاف عدة مناطق جديدة في الصحراء العربية حديثاً ، وبالرغم من ان ذلك يبشر بمستقبل حسن . إلا انه لا يصح الاعتماد عليه في الوقت الحاضر ، فتكاليف انتاجه باهظة ولا يمكن التعويل عليه في قيام الصناعة بدليل ما نستورده من الخارج بما يزيد عن ١١٠،٠٠٠ طن سنوياً .

٢ — المادة الاولية .

ان لدينا من المادة الأولية والثروة المعدنية والزراعية الشيء الكثير ، فما نصدره الى الخارج كثير جداً وبكميات وافرة .

ويمكن احياء عدة صناعات مادتها الاولية متوافرة في مصر ، كنسيج القطن والكتان والصوف وعمل الطرابيش . كذلك صناعة الفخار والزجاج ودباغة الجلود ، كذلك الورق من قش الأرز وورق البردي ولب الأشجار ؛ والشمع من تجميد زيت البذرة ، والصابون من الزيت ؛ وصناعة الأسمدة من الفسفات المصرية ؛ والسجاد والحبال والاطعمة المحفوظة ، واستخراج الاحجار والمعادن وغيرها .

والى جانب هذا يمكن ايجاد صناعات أخرى كصناعة الساعات والكبريت واسطوانات الفونوغرافات وعمل الاشرطة السينمائية والاثاث الفاخر والملابس الداخلية وأدوات الترف والزينة وعمل الخزف والصيني وأنواع الحلوى والمربات ومنتجات الالبان من لبن محفوظ وزبد وجبن وغير ذلك من الصناعات التي نعيشها عالة على أمم الشمال .

٣ — رأس المال .

وهو متوافر في مصر غير ان الأقبال على وضعه في الأعمال الصناعية لا يذكر ؛ وأكثر الاهالي يفضلون وضعه في الثروة العقارية لاستثماره ولا يخفى ان في تجمع رؤوس الأموال تحت ادارة شركة واحدة ما يجعل شراء الخامات أرخص ويساعد على احياء « الصناعة الكبرى » . أضف الى ذلك امكان استخدام المصنع لكل العوامل الفنية التي ترقي مصنوعاته وبذلك تنقص تكاليف الانتاج وتباع بأقل الأثمان .

غير انه يحسن انشاء « بنك صناعي » يتولى تقوية الأعمال الصناعية ومدها بالمال حتى تتغلب على كل المصاعب التي تعترض سبيلها ، وما دام بنك مصر قد أقدم على انشاء هذا البنك فنظل بركته وله من ماضيه وسياسته الناجحة في أعماله خير شاهد على نجاحه .

٤ — الجو

الجو في مصر ملائم نوعا ما للنشاط الصناعي خصوصاً في الوجه البحري ، ولو انه مضعف للهمة مهدئ للأعصاب في فصل الصيف .

ويلائم الجو عندنا صناعة السجاد [illegible] الوجه البحري وصناعة الغزل [illegible] الاسكندرية [illegible]

(١) [illegible] بنك مصر [illegible]

(البقية على صفحة ٢٣)

واجب القضاة

بالاستاذ عبد الحميد السيد نصر المحامي

واذا قرأت هذا العنوان ، فلا يدورن بخلدك أن رغبتي الخوض في هذا الموضوع من جميع نواحيه ، فذلك ما لا تحتمله صحيفة أسبوعية . وانما سيقتصر بحثي على ناحية أخلاقية محضة ، دعاني الى كتابتها كثرة ما نقرؤه ونسمعه من أعمال بعض القضاة بين المتقاضين تارة وبين المحامين تارة أخرى .

ولست بمبالغ لو قلت لك ان خير مثل نضربه للقضاة عامة ، بل خير ما يجب أن يهتدوا بنوره ، ذلك الخطاب الجامع المانع الذي أرسله أمير المؤمنين الفاروق الى أبي موسى الأشعري

قال : — أما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . فافهم اذا أدلى لك برأي . فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس الناس في مجلسك ووجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك .... الى أن قال : واياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة . فان القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر . فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن تزين بما ليس في نفسه شانه الله . فان الله تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصاً . فما ظنك في ثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته .

أنظر هذا وحلل معانيه فقد حوى من الفضائل — على ايجازه — لبها وعصارتها . وهو درس للقضاة — لو يعلمون — بليغ .

***

والا فتصور معي قاضياً يعوزه الحلم وسعة الصدر هل يطمئن الناس لأحكامه ؟ هل يرون الحق فيما يقضي به ؟ الجواب كلا . ان القاضي عدل بين خصمين ، يحكم بالترجيح لأيهما ، من ثقلت بالحق كفته حكم له ، ومن خفت بالحق كفته حكم ضده . ومن كان هذا مركزه يجب أن لا يثأر ولا يغضب ، ولا تثني عزيمته لطول الوقت ولا يتضجر بل يجب أن يكون رزيناً يحكم عواطفه حتى اذا وجد أو رأى ما يغضبه فعليه أن لا يظهر ذلك للخصوم بل فرض عليه أن يكظم غيظه حتى لا يخالج المتقاضين شك فيه أو ظن .

كنا نلوم قضاتنا في العهد القديم ، بل أصبحنا نذكر مظالمهم على سبيل التفكهة . ولم يكن — في اعتقادي — مرجع اللوم اليهم وحدهم ، بل كان لمشرع ذلك الزمان . فقد سن لنا اذ ذاك قانوناً ناقصاً مختلا ضيق الصدر محفوفاً بالمظالم ، ولم يعين لنا هيئة تحوطه بما يضمن الاخلاص في انفاذه والأمانة في الجري عليه ، ولم يعلم للقضاة علماً أو فناً من قبل فكان لهم بعض العذر في اختلال قضائهم . واليك مثلا يشخص لك حالة البلد في ذلك الوقت كتبه المرحوم فتحي باشا زغلول في المحاماة قال .. « لقد كان الامير في ذلك الزمن يقضي ورؤساء الدواوين يقضون والسناجق والاغوات تقضي ، وكل موظف حتى المحتسب وحتى القاضي يقضي . أقوال القواميس — لا يستطيعون [illegible] ما لم ينله كثير من أمثاله فكان يجمع بين وظائف (١) محافظ رشيد (٢) باور خديوي (٣) لواء السواحل (٤) مديرة البحيرة . وكان حرسه الله أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وكان له رئيس حجاب اسمه شاكر أغا اذا مشى في الاسواق ارتجت جوانبها ، واذا أنعم بالسلام على أحدهم اشرأبت نحوه الأعناق . فاذا تخاصم اثنان أمام سعادة المحافظ قال للمدعى عليه « راجل أنت فيه الف قرش من شأن دي » وقال للمدعي « هو — مافيش الف قرش من شأن أنت » فيجيب المدعي « لا وحياة راس الباشا » فيغضب الباشا ويضيق صدره ويقول (شاكر أغا انق شوف ايه دول خباصين) فيخرج شاكر شاكراً فيحبس من يشاء ويعفو عمن يشاء بيده الامر انه كان على كل شيء قديرا .

كانت هذه حالة القضاء والقانون في ذلك الحين . منشؤها درجة التعليم المنحطة وعدم تربية القضاة واعوجاج القانون — وعدم ضمان مراكزهم . فلو شددنا عليهم اللوم لا نخليهم من العذر بحال — ولو ضاقت صدورهم واشتد غضبهم فالذنب للمشرع لا لهم .

أما اليوم فالقانون مرتب والقضاة موفورو الكرامة وهذا سبب وضع الامم المتمدينة قضاتها في مكان علي من الرفعة : منحتهم عدم العزل حتى لا تعبث بمراكزهم يد الانتقام — فيؤدي القاضي واجبه مطمئن البال ثابت القدم ، ثم انتخبتهم من الافراد الممتازين بالعلم والمعرفة في القانون وفروعه والوقوف على حال المجتمع وأفراده والبيئة التي يعيش فيها . ولفتت نظرهم بأن يكون كل منهم في عمله يقظاً منتبها لا تفوته جملة بل كلمة مما يلقيه أمامه الخصوم ، ثم نبهت الافكار الي استظهار الضعف في القضاء . فصار الكل ينتقد والنقد بحث عن العلل وكشف عما بينها من صلة أو نسب حتى اذا اتضحت بواطن الضعف عملت الحكومة على تلافيها .

ومن انتقاداتهم المأثورة قولهم : ان القضاة ثلاثة : قاض ينام ولا يعي ، وقاض يتكلم ولا ينصت ؛ وقاض ينصت ويعي . ومن أبدع ما قيل في هذا الصدد — وذكره الاستاذ عزيز بك خانكي في مجلة المحاماة — ما رواه مسيو بوانكاريه كبير وزراء فرنسا « وهو أن محامياً كان يترافع أمام محكمة باريس ، ولما طالت مرافعته ، فنام ثلث أعضاء المحكمة في الجلسة ، وأخذ الثلث الثاني في الحديث ؛ وبقي الاخيرون في صمت وانتباه . فالتفت رئيس الجلسة وقال : « لو ان حضرات القضاة الذين يتكلمون يقتدون بحضرات القضاة الذين ينامون ، فان القضاة الذين يستمعون يعون ويفهمون » .

ومثل هذا النقد اكتشفوا علل القضاء فاصلحوها ، ذلك لانهم لم يقنطوا من الاصلاح لعدم انقطاع وسائله أملهم .

ولقد تفانى القانون المصري في حفظ كرامة القضاة ونظر اليهم بكرامة فصانهم من عبث الحكومة وأوجد لهم ضمانات ازاء المتقاضين من الاحكام ومنع الرجوع عليهم بتعويضات بسبب ما قد يخطئون فيه . له فوق ذلك أن يحكم على من يخل بنظام الجلسة ومن يرتكب جريمة فيها . أفبعد هذا يحق لقاض مهما كانت ظروفه أن يظهر التذمر والملل أثناء عمله ؟ لماذا نرى ونقرأ كثيراً أن مشادة حدثت بين قاض ومحام أو بين قاض وأحد المتقاضين ؟ قد يكون المحامي مرجع الخطأ وقد يكون أحد المتقاضين سبباً في اثارة عاصفة في الجلسة ؟ ولكني أؤكد لك أن القاضي الحليم الذي يتدرع بسعة الصدر ليس من العسير عليه أن يحل كل اشكال من هذا القبيل بقليل من فطنته وسعة صدره . ولكن الذي يدعو للاسف أن بعض القضاة يتعمدون اثارة الخواطر لجهل يبدو منهم فيريدون اخفاءه في هذه العاصفة ، أو لضيق صدورهم وكلا الامرين عمل جائر — يجب أن يبتعد عنه القضاء وأن يتنبه له أولو الأمر عند تعيينهم .

***

فلا يكفي أن يكون القاضي ملماً بالقانون فان مهمته وما يعرض عليه من الاشكالات لحلها ليست من الهنات الهينات ، بل دقيقة تستدعي سعة الاطلاع والبحث العميق . فهو في حاجة الى معرفة أحوال الناس وأخلاقهم وعاداتهم وطرق معايشهم ، ثم هو في حاجة الى الالمام بطرق المناقشة والتدليل والانتقاد . وبعبارة موجزة يجب عليه أن يدرس علوما عديدة قد لا يتيسر لبعضها وهو طالب فهي تأتيه من طريق الاكتساب تارة ومن تجاربه الشخصية تارة أخرى . وان قصر في معرفة تلك العلوم فقلما يكون النجاح نصيبه .

وقد لا تهيء الظروف لكل قاض سبل البحث — فكثيراً ما نرى شباناً يعينون في وظائف النيابة على أثر خروجهم من المدرسة ثم الى القضاء دون ان يتسلحوا بكثير من التجارب التي قد تثمر فيهم . وقد لا يكون العيب عيبهم ؛ انما عيب نظام الوظائف ، فتراهم ضعافاً في مادتهم قليلي الخبرة في عملهم . ولا أفشي لك سراً ان صرحت بان هذا السبب يحدو بالكثير منهم الي استعمال الصلف والشدة والتذرع بالغضب للخروج عن وقار القضاء . ستراً لجهله . أذكر لك اني كنت في جلسة الجنح لاحدى المحاكم وماهي الا أن نظر القاضي أولى القضايا حتى ضرب بيده مكتبه وقال في صوت مرتفع : « اني على استعداد تام لان أحبس أجعص عظيم فيكم » قل لي بربك أيها القارىء أي معنى لهذا الكلام وما هو أثره في المتقاضين ؟

وآخر جلس يقضي بين الناس في جلسة مدنية — فاشتد الجدل بينه وبين أحد المحامين وماهي الا ان نطق فوراً بالحكم ضد المحامي المترافع .. لقد ذكر فتحي باشا في كتاب المحاماة « ان عظيما أخبره أنه لاحظ وهو نائب في النيابة الاهلية ان كثيراً من الاحكام في المسائل الخاصة بالجنح لم يكن الحكم فيها بشهور كاملة أيامها أو بانصاف شهور تامة بل قد يتعدى الحكم الشهر الكامل بيومين ، وقد يقل عن نصف الشهر يوماً ؛ كأن يحكم القاضي مثلا باثنين وثلاثين يوماً حبساً أو أربعة وأربعين يوماً وهكذا . فاخذته الدهشة ورجع الى نفسه يسائلها لم لا يكون الحكم الاول من هذه الاحكام بشهور فقط ؟ ولم لا يكون الشهر الثاني شهراً واصفاً كاملا ؟ فلم يهتد الى سبب صحيح يبرر ذلك ، غير أنه بدأ يبحث بجد عن العلة الحقيقية والباعث القوي الذي من أجله أتت هذه الاحكام بصورتها الموجودة ، فاخذ يقيس القضايا بأشباهها والنتائج بمسبباتها . وأخيراً .. تبين له أن القاضي كان لا يتعب نفسه بشيء ولا يكلفها مؤونة البحث ، وكل ما كان يعمله هو ان يضاعف ما قرر للمصاب من الايام كعلاج ، والناتج .. يكون الحكم الذي ينطق به سعادته على مرتكب الجريمة ، وهكذا من مثل هذه اللطائف كثير .

ولئن جاز لقاضي ذلك الزمان أن يكون على هذه الدرجة المنحطة من الاخلاق ، فلا يهمه أن تداس مصالح الناس ، وان يزج في السجن أبرياء — أقول ان جاز لهذا القاضي ذلك فلا يجوز لقاضي اليوم ؛ وله في النفوس مكانته من الاحترام ومنزلته العلمية منزلة سامية ، وهو فوق ذلك مهاب موفور الكرامة .. ولئن جر البعض من صغار القضاة بعض نفور الجمهور منهم فان الغاية فيهم يهبون أنفسهم وكل جهودهم في سبيل الوصول الى الحقيقة لا يعبأون بما يلاقونه من عناء العمل والاتهام ما يحتمل أن يتعرضوا له من الاخطار .

***

وجملة القول في تلك الكلمة الوجيزة أننا لا نتطلب في قضاتنا العلم فحسب وان كان ذلك لهم لزاما . ولكن نرى أن من أخص الصفات التي يجب أن يتحلى بها القاضي هي الحلم وسعة الصدر والتفاني في سبيل الواجب واليقظة المتناهية . وبهذا وحده يستطيع أن يميز الحق من الباطل وأن يبدي في القضية رأياً صحيحاً .

في الأدب الفرعوني

وردة

قرأت للأخ إبراهيم جمعة أفندي نداءه السامي لاحياء أدبنا القومي القديم وأقول « القومي » لأن النفس الفرعونية القديمة ما زالت متغلغلة في نفوسنا ولم يؤثر فيها مرور العصور ولم يذهب بآثارها احتلال اليونان والرومان والفرس والعرب.

ثم أرى القومية الفرعونية قد سيطرت على كل المدنيات المتعاقبة عليها. وليس من المبالغة في شيء اذا قلنا انها نجحت أخيراً في صبغ تلك المدنيات بلون كبير بالصبغة المصرية.

وفي تلك المقالات التي نشرتها السياسة الاسبوعية والتي تمكن فيها بعض الأدباء من ارجاع كثير من ألفاظنا العامية الى أصل فرعوني دليل واضح على عظم تلك الصلة التي تربط نفوسنا بالنفس الفرعونية! وفي كتاب المسيو لوبيران الذي قام خلال عشرين عاماً أقامها في مصر بالتنقيب وراء الآثار المصرية والذي علق عليه الدكتور محمد حسين هيكل بمقالتين بديعتين تحت عنوان: (بين الحاضر والماضي) ما يزيدنا اعتقاداً أن النفس المصرية هي هي لم تتغير منها الا صورتها الظاهرة. فقارب ابي الحجاج الذي يقوم بالاحتفال به الاقصريون هذا العام والاعوام المقبلة كانوا يقومون به منذ أربعين قرناً خلت!!

ولا يجب أن نقف مفتوحي الأفواه دهشة أمام الحقيقة الناصعة، ولا أدري ما الذي يثير دهشتنا والطبيعة في مصر هي أم المدنية والآداب الفرعونية.

والطبيعة في مصر واضحة بارزة في كل جزء من جزئياتها: شمس متلألئة تسبح في قبة سماوية ثم لا تلبث أن تختفي اسود. اذن لا بد أن تكون تلك الشمس اله عظيم يسبح في قارب الحي، ولا بد لتعليل اختفاء الشمس وشروقها ثانية من وجود بحر سفلي يسبح فيه القارب (الشمس) اثناء الليل ولا بد من وجود دنيا سفلى لها آلهتها. وهكذا نشأت العقيدة الدينية الفرعونية؛ ومهما يكن من أمر تلك الديانة فقد كان لها الأثر العميق في كل ناحية من نواحي الحياة الفرعونية ... فأدعيتهم وتعاليمهم الدينية تشغل جزءاً كبيراً من أدبهم، وأناشيدهم تدور في محورها حول أمر ديني. ولم يكن هنالك مدرسة فرعونية الا ويديرها جماعة من الكهنة ولم يكن هنالك أدباء فرعونيون غير متخرجين من تلك المدارس الكهنوتية!

ومن ثم نعرف الى أي حد أثرت الديانة المصرية في الناحية الأدبية الفرعونية! بل لقد كان لتلك الديانة أثر لا يقل شأناً في الناحية المادية من المدنية الفرعونية! ولذلك ليس بجزاف أن نقول ان « المدنية الفرعونية مدنية دينية ».

وقد قلت ان الأدب الفرعوني مشتق من الطبيعة في كل ناحية من نواحيه واذا نصل الى النتيجة المنطقية وهي أن الطبيعة هي الأم الحنون التي غذت الآداب والمدنية الفرعونية بلبانها حتى [illegible] [illegible]

وصلة عجيبة بين النفسية المصرية الحديثة وبين أختها الفرعونية القديمة، اذ أن الطبيعة ... لم تتغير فشمسها النيرة ونيلها المتدفق وسماؤها اللازوردية وصحراؤها الفاحلة وأرضها الخصبة وكل ما أوحى للفرعوني عقيدته الدينية ومن ثم مدنيته؛ مازال باقياً!!

هذا ما يحسن بالأدباء أن ينوهوا في مقالاتهم الأدبية اذا أرادوا الكتابة عن الأدب الفرعوني أو المدنية الفرعونية.

حملني على التفكير في ذلك والكتابة فيه نداء الأخ الفاضل، وقد برني هذا النداء أيضاً الى البحث في مكتبتي الضئيلة عن كل ما يخص مصر الفراعنة فما هي الا برهة قصيرة حتى وجدت (وردة).

ووردة هذه رواية فرعونية وضعها أحد فحول علماء المصرولوجية وهو الدكتور جورج يبرس الالماني وترجمت الى الفرنسية ومن ثم عربت بقلم محمد مسعود أفندي سنة ١٩١٢ ولا أدري عن هذا الفاضل شيئاً إلا انه كان محرراً فنياً بوزارة الداخلية في الوقت الذي انتهى فيه من تعريب تلك الرواية.

ولا يمكنني أن أقول لك ان العلامة جورج يبرس هذا قد أخرج هذه الرواية من بنات افكاره أو انه بناها على فكرة فرعونية وأخذ يضيف اليها ويحشو فأخرجها مشوهة لا تفيد من الوجهة الفرعونية شيئاً. لا يمكنني أن أقول ذلك لعدم عن الحقيقة بعداً تاماً! بل مما لا شك فيه انني أخطىء اذا قلت ان هذا العلامة ألف أو وضع هذه الرواية لأن أفكاره كانت بعيدة عن هذا الضرب من الكتابة!

ولكنه نقل صوراً عن الحياة الفرعونية: عن معتقداتهم، عن آدابهم، وعلومهم بل عن شاعريتهم، وعن مقدار حساسية تلك النفوس الفرعونية! ونقلها عن أوراق البردي. ولا شك انه جمع لديه صوراً متنافرة متضادة لا صلة بينها. وهنا ظهرت مهارة العلامة! اذ أوجد لك من تلك الصور المتناقضة عن الحياة الفرعونية صوراً مرتبة متسلسلة، بل أكاد أقول انه مزجها جميعاً وأخرج في روايته (وردة) صوراً صحيحة فريدة.

ولكني اذا قلت انه مزجها فاني أخطئ التعبير إذ انه لم يمزج تلك الصور بعضها ببعض فيفقدها رونقها الاصلي أو يجعل منها صوراً غامضة لا يمكنك جليها إلا بعد البحث. لا! ولكنه جعل كل صورة قائمة بنفسها تستطيع أن تتأملها وتتبينها جيداً!!

وليس ذلك كل شيء، بل ربط تلك الصور بسلسلة الأدب الذهبية ثم أخرج للعالم روايته الرائعة.

فها هو يمر بك سراً على دلية الأحياء ومدينة الأموات ولا يتركك أو قل لا تتركه إلا وعندك صورة واضحة عن كليهما.

وها هو يبين لك تلك المراة الكهنوتية التي كانت تتحكم في معتقدات الفرعونيين بل في مشاعرهم، وكشف لك الستار عن حقيقة تلك المدينة [illegible] [illegible]

ومن عظمة الاناشيد الفرعونية (أعني بها الدينية) التي كانت تلزم الكهنة الذين فرضوا على آدابهم الدينية التي كانت لا تخرج عن تقديس سلطة فرعون العظيمة وعن نيل أكبر ما يمكن نيله من النفوذ السياسي!

ولكن لا يلبث أن يطلعك على تلك المدارس الفرعونية التي هي أقرب شيء الى جامعات أرقى عالمك يومنا هذا. وقد كان أساتذتها الكهنة وعميدها رئيس الكهنة وهو يذكر لك بالاخص جامعة طيبة حيث كان يؤمها الطلبة من كل صوب وبلا تمييز يرتشفون من مناهلها العذب. وقد بلغ لك أوحى تعلم أنهم كانوا يعيشون فيها عيشة اشتراكية ديمقراطية لا فرق بين ابن فرعون نفسه وابن أحقر حقير في المملكة.

وتلك صورة قد يبدو لك أنه مبالغ فيها، ولكن ماهو طارف من حديث جرى بين ابن فرعون (وقد كان طالباً بجامعة طيبة) وبين عميدها (وقد كان رئيس كهنة طيبة) اذ بث ابن فرعون في نفوس اخوانه الثورة ضد نظام الجامعة حيناً قرر مجمع الكهنة ابعاد استاذ لهم كانوا يحبونه. فترى الكاهن يقول:

« لو لم تكن ابن فرعون الذي لا يقل شأناً عن الآله الأعظم لأنزلت بك ما تستحقه من العقاب على جرأتك ووقاحتك؛ الا انى أراني مضطراً الى عقابك — اذا ثبتت ادانتك — عقاباً صارماً لئلا تكون مثلاً سيئاً يقتدي به جميع الطلاب »

فيجيبه ابن فرعون:

« انى معترف بجرمي العظيم فعاقبني بما تراني أستحقه مهما كان العقاب شديداً »

ألا تدري ماذا كان العقاب؟ لقد كان طرده من المعهد لمدة أسابيع

ولا أظن انه ليس من المبالغة في شيء اذا قلت ان هذا عقاب لا يوقعه أشد الأمم ديمقراطية على ولي عهد لها؛ وخصوصاً لو راعينا تلك السلطة المطلقة التي كان يتمتع بها فرعون دينياً وسياسياً!

يطلعك العلامة هذه الصورة واضحة لا غموض فيها ولا اضطراب والك أن تستنتج ما شئت!

ولا يضن عليك بصورة عن حياة فرعون العظيم وحياة حاشيته في حالتي السلم والحرب، ولكن لا يفوته أيضاً أن يصف لك حالة الطبقات الفقيرة وخصوصاً تلك الطائفة المسكينة التي كانت تدعى بطائفة المحنطين التي ضرب عليها الذلة والاسر والدنس الى الابد! مضيفاً الى ذلك طبقة السحرة وما كانت تلاقيه من ضروب الاحتقار.

وها هو يعطيك صورة طريفة لشاعر فرعوني طريف مترجماً لك تاريخ حياته ذاكراً لك شيئاً من آثاره الشعرية الجميلة! وينتقل بك من صورة لأخرى في تسلسل بديع كما يمكنك النبيا من الاطلاع على معيشة قوم وعاداتهم [illegible] [illegible] [illegible]

يوصف الاعياد الفرعونية ومراسيمها وخلال القوم وآدابهم.

كل تلك الصور التي تتناول حياة شعب بأسره ومدنية عتيقة تالدة؛ كل هاته ربطها جورج يبرس الالماني في وضوح وبلا أقل تشويه أو خروج عن الحقائق المجردة التي امتازت بها النفس الالمانية!

ماهو موضوع الرواية؟ وفي عصر أي الفراعنة كانت تلك الصور؟ وكيف تمكن العلامة من سبكها ووصلها بعضها ببعض في مهارة عجيبة؟ وكيف تمكن من لم شعثها من تناقضها ووضعها في قالب روائي تحت اسم وردة؟

كل هذا سنحاوله في مقال آخر اذا فسحت لنا السياسة الأسبوعية صدرها الفسيح

اسكندرية — شهدي عطيه الشافعي

* * *

يرى كثير من علماء الآثار المصرية أنه من الخطأ اطلاق لفظة الفرعونية على الآثار المصرية القديمة لأن الفراعنة هم ملوك مصر فقط. ولكن أفضل أن أستعمل كلمة الفرعونية لأنها أولاً كلمة واحدة؛ ولأنها ثانية أكثر تحديداً وأضيق دائرة من المصرية القديمة، اذ أن الأخيرة يمكن اطلاقها على العصر الفرعوني والعصر الذي بعده ولكن اذا قلنا الفرعوني فلا شك انها أكثر تحديداً اذ لا يمكن أن نقصد به العصر الروماني في مصر مثلاً!

وأخيراً ان الفرعونية كلمة رنانة فخمة تلذ لها مشاعري، وأظن الحال كذلك مع الجميع.

***

الادب القومي أيضاً

كنت منذ هنيهة أتناول فنجان القهوة الذي تعودت أن أتناوله كل صباح. وذلك في احد متنزهات قريتي البلدة اللبنانية الجميلة. واذا بائع الصحف يوافيني بالسياسة الاسبوعية. والسياسة الاسبوعية ندعى المختار أنتظرها من مرة الى مرة متشوقاً لقراءة مايكتب فيها من الفصول وماهي ان فتحتها حتى وقع بصري على هذه الكلمات: « نريد أدباً قومياً! » وليست هذه بالصرخات الاولى التي أرسلها مفكرو مصر الى هذه الصحيفة وعلى غيرها من الصحف، ثم انى أحببت أن أطالعها قبل كل فصل آخر من فصول السياسة. لأرى ما فيها من جديد الافكار في هذا الموضوع الخطير الذي شغل الادمغة زمناً ولا يزال. فاذا هنالك أنة رجل ضجر من الدعوة للأدب القومي دون أن يجد لدعوته صدى لها فعزم على أن يلبي نفسه بنفسه ويحاول هو ما لم يحاوله غيره..

لا بأس أن يدعو المفكرون الى هذا ولا بأس أن يحاولوا أم أنفسهم، ولكن في هذا الموضوع الذي يعالجونه نقطة لم يروها، ولو رأوها لوقفوا قليلا حجمين مفكرين! لأن تلك النقطة تنبئ من الذي يعنى اذا أريد كتابة شيء يصح أن ندعوه أدباً قومياً، وها أنا أدلي برأيي أنا، ولو ... على اذا أقول هذا لا أو ليس ميدان [illegible]

هو أيضاً لأثر القومية، فكل ما تنتجه الاقلام تحت سماء لبنان لا يمت لاخلاق البلاد وعاداتها بسبب، وليست الحالة في مصر وسائر البلاد العربية اللسان على غير هذه الحالة. يكتب الكاتب مايكتب وهو تحت ضغط ماورثه من الجاهليين والعباسيين: لغة عربية متينة غريبة الالفاظ، وأسلوب في التعبير غريب عما يألفه كل منا في محيطه. زد على ذلك ان مايعبر عنه هذا الكاتب غريب أيضاً. وأقصد بذلك ان الروح ليست بالروح التي نلمس نبضاتها في حياتنا اليومية فالادب عندنا لم يتوصل بعد أن يعرف نفسه. ولا شك أن تحتفظ بالكلمة ذاتها فالادب عندنا لا يزال غريباً عن نفسه. فهو بحاجة الى البحث، بحاجة الى البحث عن نفسه بنفسه لعله يهتدي اليها ويرى اذ ذاك مافيها من أسرار فيحاول بيانها بالالفاظ. ومتى وجد نفسه وتعرف الى مافيها من كنوز مشى حينئذ في ميدان آخر أفسح وأقرب للحقيقة..

وهل يعبر أدبنا اليوم عن نفسه عند مايتغنى بالاطلال ويصف لنا حياة البادية بما فيها من خشونة وسأم؟!

ماقرأت حتى اليوم قصيدة لشاعر مصري ولا قطعة لناثر مصري إلا تبين فيها أثر العرب. وأستطيع أن أقول هذا في جميع ماقرأته لكتاب وشعراء البلاد العربية في هذه الايام..

ان حياتنا مغايرة لحياة العرب من وجوه كثيرة، بل هي مغايرة لحياة العرب في جوهرها نفسه. وهل من يرى مصر وأهل مصر وأخلاقهم وعيشتهم الهادئة الظريفة، وأحاديثهم فيما بينهم، ويري الفلاح والارياف والتاجر، والعاطل في القهاوي والصبي في الشوارع، هل من يري كل هذا يستطيع أن يقول ان حياة مصر اليوم هي حياة العرب منذ عصور سابقة.

انه والله لسؤال بسيط يقدر أن يجيبك عليه أي واحد من المصريين. وبالرغم من ذلك فنحن لا نزال غريبين عن أنفسنا لا نكتب عند مانكتب الا كل ماهو عربي في روحه وأسلوبه!

هل يستطيع شوقي أو حافظ وغيرهما من شعراء مصر وكتابها المتقدمين أن يدعوا انهم شعراء وكتاب مصريون؟ وهل في جميع ماصنفوا شيء من أخلاق مصر وعادات مصر وحياة المصريين التي يحيونها كل يوم؟

اذاً فالأدب القومي مفقود في مصر اليوم. كما هو مفقود في سائر البلاد العربية اللسان، كما قلت في أول هذا الحديث. لذلك نرى المفكرين يدعون اليه، ويدفعون اليه بالحاح كما فعل الاستاذ جمعه في فصله الاخير.

... وأراني بعدت عن قصدي. فان ماقلته قاله قبلي الكثيرون. ولكن لم يكن بد من بيانه هنا أيضاً. وها أن أصل الى النقطة التي لمحت اليها في أول كلامي. وهي النقطة التي لم يعرها الاستاذ جمعه انتباهه، وقد تكون جديرة بالانتباه كما سترى:

ميدان الادب القومي كما هو معلوم ينحصر خصوصاً في القصة والرواية التمثيلية. فنحن اذا أردنا أن نكتب مثلاً حياة الفرنسيين اليوم قرأنا ما نكتبه [illegible]

التمثيلية يتخللها الحديث، الحديث العادي الذي يتبادله القوم فيما بينهم للتعبير عن افكارهم وعواطفهم. وأنت تعلم ان لغة مصر اليوم تبعد كل البعد عن لغة العرب. ان الزمان قد بدلها بامو سطا طيبيس تبديلا كثيراً لا يصح معه أن نقول انها اللغة العربية أو اللغة العربية التي كان يتكلمها العرب في البادية والتي لا نزال نكتب بها اليوم.

لمصر لغة غير لغة العرب، وهذه اللغة هي التي يتكلمها الناس في جميع احاديثهم. يتكلمها الجميع على السواء متعلمين كانوا أم غير متعلمين، يتكلمها التاجر ويتكلمها الفلاح، يتكلمها ابن الثري ويتكلمها ابن السوقة. لا أحد يقول في مصر « أريد » كما كان يقول ابن البادية. بل يقول بكل بساطة بلغته العامية الجميلة: « عاوز » وقس على ذلك كل الكلام الذي يتكلمه المصريون. وما تستطيع أن تقوله في المصريين بهذا الصدد تستطيع أن تقوله في جميع الناطقين باللغة التي لا نزال نسميها عربية. ان لمصر لغة مصرية. وان للبنان لغة لبنانية. وان للحجاز لغة حجازية. وكل هذه اللغات ليست بلغات عربية.

ان لكل بلاد من بلداننا لغة هي ملكها. فلماذا لا نكتب بها كما نتحادث. ان اللغة التي يتحادث بها القوم في أي بقعة من بقاع الأرض هي اللغة التي يكتبون بها. أنظل متجاهلين؟ والى متى هذا التجاهل؟!

عبثاً ندعو الى الادب القومي، ما دمنا متمسكين ببقايا العرب. وكيف نستطيع ان نكتب ادباً قومياً بلغة ليست لغتنا!

أجل نحن لا نفهم اللغة العربية. قد استطيع أن أفهمها أنا وقد تستطيع ان تفهمها أنت وقد يستطيع أن يفهمها غيرنا أيضاً. ولكن السواد الأعظم منا، من مجموعنا القومي، لا يسيغها ولا يجد الى سوغها سبيلا!

فضلا عن ذلك ان الأدب القومي يتطلب قبل كل شيء الطبيعية. وهل من الطبيعية في شيء أن نكلم الفلاح والتاجر بلغة غريبة عنه! ان من أخص ميزات القومية اللغة التي يتكلمها القوم فاذا اردنا أن يكون لنا أدب قومي فلنكتب باللغة العامية!

ها هي فرنسا اليوم وأدبها اليوم! ألا ينتج كتابها رواياتهم التمثيلية وقصصهم باللغة التي يتكلمها الشعب الفرنسي؟ ولست أقصد بذلك أنهم يكتبون باللغة الفرنسية، لا باللاتينية، وانما أريد أن تعلم أنهم يدخلون كلمات كثيرة ليست موجودة في القاموس ويستعملون على ألسنة الاشخاص جملا لا تقرها قواعد لغتهم. وكل ذلك لكي يكونوا أقرب الى الطبيعة، أقرب الى الواقع أقرب الى الأدب الصحيح الذي يجب أن يكون الصورة الصادقة للحياة المحسوسة!

قرأت منذ شهور بعض روايات تمثيلية لمحمد تيمور، وهذه الروايات مكتوبة باللغة المصرية العامية؛ أي بلغة البلاد التي تجري فيها الحوادث فوجدت فيها من اللذة ما يعجز عن تقديمه الي أعظم لغوي في أعظم رواية يؤلفها باللغة العربية الفصحى! وأنا ألوم محمود تيمور اللوم كله لأنه أحجم عن السير على طريقة أخيه في القصص التي كتبها ويكتبها عن حياة المصريين. وقد كان يجدر [illegible]

[illegible]

وروح العصر

« بقية المنشور على صفحة ١٨ »

ومقراط وغيرهم لبنات الاساس في السياسة والاخلاق والتربية والاجتماع ثم أعقبهم عشرات الفلاسفة فأسروا ما كان فاسداً من تلك النظريات وأبادوا ما فسد ولعل أبرز هذه العصور هو القرن السابع عشر الذي ظهر فيه « الكارتيسيانزم » أي الانقلاب الذي أحدثه ديكارت بتعاليمه في أوربا. ومذهب ديكارت لا يقتصر على فن من الفنون بل هو ينطبق في أي بحث ديني أو أدبي أو فني.

وهو عند الكثيرين المذهب الحائل بين العواطف والعقل والذي يتلمس في مبدئه « اذا أردت أن تبحث بحثاً وتخرج منه بالحقيقة الكاملة فتجرد من كل شيء ومن كل وشعور وأثر يربطك بأي شيء آخر حتى بالعالم والحياة. »

وليس في وسعي أن أحدثك عن هذا المبدأ — في هذا الحديث — لتشعبه ... ولكن الذي يجب أن نستخلصه أن الحركة الفكرية التي ظهرت في ذلك العصر في كتابات ديكارت وغيره من أقطاب العلماء وجبابرة العقول هي من أقوى الحركات العلمية الهائلة التي حورت بتأثيرها الاذهان والافكار الى الناحية التي أوجدتها تلك العقول أو التي جددتها في صورة حديثة عن القدماء.

وكل هذه النظريات على تباينها تتوحد في انها تستولد نتيجة واحدة بعد ايجاد التطور. وهذه النتيجة هي ايجاد تفكير جديد في جو جديد.

وأنت تري أن التطور الصناعي قد قلب — على هذا الاعتبار التمثيلي — أشياء كثيرة. ولكن أشد آثاره تلمساً هي في الجمال الحديث الذي تسري فيه روح العمل الى حد بعيد. ولعلي أكون قد وقفت ولو قليلا الى بحث هذا الموضوع الذي هو في الحق شعب كثيرة من التفكيرات المتباينة الصفات والالوان، والذي نراه اليوم في دوره العملي يخترق طريقه في قوة وحياة.. والذي تدعمه النساء اللائي قامرن في الكفاح في ميادين العمل مع الرجل، وهن في كل يوم يقررن لهن حقاً مهضوماً ويستمددن مجداً لهن ضائعاً، ويتبوأن مراكز كانت للرجال من قبل.

محمود عزت موسى

بالمكتبة العربية

في حي الحسين

تطلب السياسة اليومية والاسبوعية في حي الحسين — من المكتبة العربية وادارة توكيلات الصحف والمجلات لصاحبها السيد عبد المنعم حسن العدوي الكائن مركزها بمهندي بازار وزير بالديج بوسط عنبر ٩ بحي الحسين.

... وبعد، فهذا رأيي أدليت به في صراحة وأنا معتقد اعتقاداً راسخاً انه هو وحده الرأي الصحيح، رضي اللغويون أو سخطوا. وأنا أعلن على صفحات « السياسة الاسبوعية » انى مستعد [illegible]

بحوث اقتصادية

(بقية المنشور على صفحة ٢٠)

حيث الجو هناك مشبع بالرطوبة. وبالاجمال فكل الصناعات السابق ذكرها تصلح لاقامة الصناعة في مصر

٥ — اليد العاملة

لدينا، ولله الحمد جيش جرار من العاطلين يمكن استخدامهم في الاعمال الصناعية بعد تدريبهم وبأجور رخيصة، غير انه يعوزنا الفنيون منهم، وهذا لا يمكن الحصول عليه إلا بنشر التعليم الصناعي وبتدريب عدد وافر من المصريين بعد تعليمهم صناعياً حتى نستغني عن العامل الأجنبي الماهر

٦ — وجود سوق للمنتجات المصرية.

وذلك بمنع تدفق البضائع الأجنبية على الأسواق المصرية وجعله مقصوراً على المنتجات المحلية حتى تحيا الصناعة الاهلية وايجاد « اسبيرة » السوق.

ومصر التي توزع مصنوعات الدول المختلفة التي تأتيها من الخارج في سوقها لتصريفها الى العراق والشام وسوريا وشمال أفريقية والسودان وبلاد الحبشة؛ لا يصعب عليها أن تملك يوماً ما هذه الاسواق وتغمرها بمنتجات مصانعها.

محمد أمين حسونه
دبلوم في المحاسبة والتجارة

في الأدب الجاهلي

اصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر كتاب « في الأدب الجاهلي » تأليف الدكتور طه حسين استاذ آداب اللغة العربية بالجامعة المصرية. وموضوع هذا الكتاب الجديد يتبين من مقدمته وهي: « هذا كتاب السنة الماضية حذف منه فصل وأثبت مكانه فصل وأضيفت اليه فصول وغير عنوانه بعض التغيير وأنا أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الطبعة الثانية الى حاجة الذين يريدون أن يدرسوا الادب العربي عامة والجاهلي خاصة من مناهج البحث وسبل التحقيق في الادب وتاريخه وهو على كل حال خلاصة ما يلقى على طلاب الجامعة في السنتين الاولى والثانية من كلية الآداب ».

ويقع الكتاب في سبعة كتب يستغرق منها كتاب السنة الماضية، بعد حذف ما حذف منه واضافة ما أضيف اليه، ثلاثة كتب والباقي بحوث جديدة أضيفت اليه.

ويطلب من الكاتب الشهير ومن اللجنة المذكورة وثمنه خمسة وعشرون قرشاً ما عدا أجرة البريد

قانون تحقيق الجنايات

جمع وترتيب حضرة الاستاذ كامل افندي المصري

أوفى مجموعة للاجراءات الجنائية معدلة لغاية مايو الماضي مع بيان مصادر كل مادة ومذيلة بنظام جميع اللجان الادارية المختصة بالمخالفات. عمل خصيصاً لنفع القاضي والمحامي وأعضاء النيابة ورجال الادارة والبوليس وطلبة الحقوق وغيرهم. يباع بالمكتبة التجارية الكبرى [illegible]

على مسرح زيزينيا باسكندرية

رواية "القبلة القاتلة"

القصة : الدكتور موروا الاخصائى فى الامراض السرية صديقة تدعى سيسيل مخطوبة لرامون ابن عمدة القرية، وهو فتى خفيف ومصاب بمرض « الزهرى » وقد حاول أن يعالج نفسه مراراً عدة الا أن قصر ذات يده وعدم تجرئه على التصريح لأبيه بارش الذى ينخر فى عظامه حالا دون العلاج . وأخيراً لما حان موعد زفافه على سيسيل رأى رامون أن يعرض نفسه على الدكتور موروا، فاذا أفهمه الدكتور المذكور أنه لا ينتظر شفاؤه قبل مرور عامين ثارت ثائرة رامون وغضب شديداً وخاصة عندما علم أن الدكتور سيعلن مرضه الى أهل خطيبته رأفة بها وشفقة عليها، وبذلك سيحول بين زواجه من محبوبته سيسيل فى اليوم التالى . الا أن الظروف لم تساعد الدكتور على اخبار أهل العروس بحالة رامون

وفى ليلة الزفاف تردد رامون فى أن يصرح لأبيه بأنه لا يمكنه أن يتزوج سيسيل لأسباب شخصية وكان خائفاً جباناً فى تردده، الا أنه اندفع مرة واحدة وصرح بذلك الخبر المؤلم لأبيه الذي لم يكترث له . وفى موكب الزفاف صرحت احدى ممرضات الدكتور موروا بالمرض الخطير . وهكذا وقف الموكب وحرم رامون من سيسيل .

يتعهد الدكتور موروا بمعالجة رامون كما لو كان أخاه اجابة لرغبة سيسيل الا أن المرض يكون قد وصل الى درجة خطيرة ويفقد الدكتور كل أمل فى شفاء رامون . عندئذ يأذن لسيسيل بالحضور لزيارة خطيبها وحبيبها « لتسمع صوته لا لتراه » لان القروح قد شوهت وجهه وجعلت منظره بشعا فظيعاً . الا أن سيسيل تلح فى أن تراه وهو فى تلك الحال . وأخيرا يسمح لها بان تراه ويكون هذه الرؤية هى الأخيرة ..

هذا ملخص سريع لرواية « القبلة القاتلة » . ألفها الكاتب المسرحى المعروف « لويك لوجريادك » .

واذا كان لنا أن نستدل على قيمة هذه الرواية السالفة فيكفى أن نذكر أنها نقلت الى معظم لغات العالم ومثلت فى مختلف الامم، وكان نجاحها دائما أكيداً وعظيما . ذلك لانها تعرض علينا صورة من حياتنا فلا نشعر بغرابة فى مشاهدتها بقدرما نشعر بالحقيقة التى تتحرك على المسرح أثناء تمثيلها .

وفى الواقع أشعر بسرور عظيم لمشاهدتى هذه الرواية التى فاتنى تمثيلها فى القاهرة فانتظرتها بفارغ صبر فى الاسكندرية حتى أتيح لي مشاهدتها .

التمثيل والاخراج

المعروف عن مسرح زيزينيا أنه مسرح بسيط ولهذا فان اخراج الرواية عليه بالشكل الذى [illegible]

الاخراج ولنري كيف أدى أفراد « رمسيس » أدوارهم فى هذه الرواية .

مثل يوسف بك وهبى دور الدكتور موروا ذي القلب الشفيق والنفسية الحسنة، الا أن من يراه يلاطف الزبائن فى بادىء الامر ويخفف عنهم ثم يراه وهو يعرض على رامون « فتوح نشاطى » صور المصابين بالزهرى فى قسوة وشدة لا يسعه إلا أن يقول أن يوسف بك لم يحفظ التوازن بين مقتضيات دوره، فقد كان تطرفه فى اللين والشفقة يعادل تطرفه فى القسوة والغلظة، فهو ينتقل من حالة الشفقة الى حالة القسوة بسرعة فكأنما هو شخصان لكل منهما ميزة خاصة . ولا نظن المؤلف كان يقصد ذلك أبداً .

قامت الآنسة أمينة رزق بدور سيسيل بشكل لا يجعلنا نحس بأنها قصرت فيه كما انه لا يمكن أن نقول انها أبدعت كل الابداع الا فى الفصل الاخير قبيل مقابلتها لخطيبها، فقد كانت نبرات صوتها وحركاتها تدل على أنها قد اندمجت تماما فى شخصية سيسيل فأصبحنا لا نرى أمينة رزق بل نرى سيسيل بروحها وشخصيتها .

وأما دور رامون فقد مثله لنا الأديب فتوح افندي نشاطى وقد كان اتقانه له ينتزع الشفقة من الحاضرين فكلهم كانوا يرثون له ويشفقون عليه اذ هو مخلص فى حبه . وانى أذكر له ثلاثة مواقف أبدع فى تمثيلها الى حد الاعجاب : أولا عندما استفظع الصور التى كان يعرضها عليه الدكتور موروا فقد كان تمثيله وحركاته وصوته يشعرنا بهول وقع الصور فى نفسه كما هالنا رؤيتها لبشاعتها وقبحها . ثانياً عند ما تجرأ على أن يصرح لأبيه بمرضه الخطير . فأنت ترى فى تمثيله احترامه لأبيه وخوفه منه، كما ترى ايضاً اضطراره لتصريح بمرضه فى جرأة ممزوجة بالشكوى والأسى اذ هو قد سئم المرض، كما انه يخشى ان تعلم خطيبته بحاله فتحطه من عينها وتنزل مكانته فى نفسها، واما الموقف الثالث فهو الذي تختم به الرواية ويظهر فيه رامون مشوه الخلقة بشع المنظر مبحوح الصوت . ولاشك ان الرواية قد بلغت عند ذلك الموقف نهايتها من قوة التأثير على الحاضرين، فما من مشاهد الا أبدى أسفه على حالة رامون متأثراً بما يراه من حالة تدعو الى الاشفاق والتحسر .

وقد قام مختار افندى عثمان بدور مكسميان دبيان والد الفتاة وهو شخص مريض بالوهم، وقد نال مختار اعجاب الحاضرين كعادته بظرف تمثيله وأطلف حركاته .

كذلك قام احمد أفندى علام بدور العمدة لافيرى والد الشاب رامون، وكان علام « عمدة » حقيقة فى هذا الدور .

ولا يسعنا الا أن نهنىء أنفسنا بأن فى مسرحنا رواية كالقبلة القاتلة وان لدينا ممثلين وممثلات يقومون بأدوار موروا ورامون وسيسيل الخ بالشكل الذي رأيناه .

وأملنا أن يعيد « رمسيس » تمثيل هذه الرواية فى كل موسم بصفة خاصة نظراً للفائدة التى تعود على الامة من مشاهدتها لها . فالقبلة القاتلة خير رادع لشباب العصر الحالى وأحسن كابح لجماح هوى الواقع الذى يخطر الناتج .

[illegible]

ابن خفاجه الشاعر الاندلسي

لعل الشاعر الذى يصح أن يطلق عليه، بحق، هذا اللقب بين كل أدباء الاندلس وشعرائها هو ابن خفاجة . فقد أولع ابن خفاجة منذ حداثته بالشعر ومنذ أن ناداه داع خفى فى نفسه هو ليس ذلك الاحساس الذى يخالج قلب الانسان فينطقه شعراً .

واذا ما اجتمع الى هذا الشعور النفسانى شىء من منتجات المواهب الادبية وأتيح للمرء الأخذ بما يأخذ المتأدبون به أنفسهم من رواية الشعر والالمام بأخبار الادباء ونوادرهم، واذا ما انكب على قرض الشعر ظهر شاعراً تعوزه تأثيرات البيئة لتكييف منحى شاعريته . فان عاش فقيراً أخذ يمدح هؤلاء ويستندي أكف أولئك ليسد حاجته، وان عاش مكفياً مؤونة نفسه غنياً عن الناس تغزل بالحسان ووصف مجالس اللهو والطرب وكل ما يدخل فى عيشة أهل الترف والنعيم . أما شاعرنا ابن خفاجة فكان من هؤلاء الأغنياء الذين كفوا أنفسهم عن الطلب وقالوا الشعر من أجل الشعر نفسه وللاستمتاع بما فى الشعر من ساوى للخاطر وإثارة للذكرى وتنبيه للعواطف، فمن أجل هذه الأغراض قرض ابن خفاجة الشعر ولم يتعدها . فقد كان بمعزل عن السياسة وبمعزل عن التجارة فان نفسه لم يرق لها هذا الجو السياسى المكهرب . وما أبعد نفس شاعر كابن خفاجة سحرته الطبيعية بجمالها الفتان والحسناء برقتها ودلالها عن نفس ذلك السياسى اللاهي بالمخاطرات والمجازفات . فالاستماع الى فتاة تجيد التحدث عن أسرار القلب أشهى على النفس ألف مرة من الاصغاء الى هذا الخطيب اللبق يبسط خطة سياسية أو يفند أمراً قانونياً، بل وليس من شبه لتقارن، فأين ذلك الحديث العذب يحلق بنفسك وادراكك الى سماء من الخيال، الى سماء من الملائكة كلهم حسان وكل ما عندهم هو الحب، من حديث هذا السياسى الذى يأخذ بك الى مواطن الغلبة والنقمة والاستئثار . أما التجارة فقد وسع لابن خفاجة بقدر أن يهجرها وأن لا يجد من حاجة الى الانهماك فى مشاغلها ؛ فقد حصر ابن خفاجة كل وقته فى ناحية واحدة من الحياة هى المجون .

اذا كان ابن خفاجة ماجنا يفتش عن اللهو والطرب والشرب واللعب، ثم كان فنانا يركن الى الرياض ذات الأشجار الورقة فى الربيع والاغصان العارية فى الخريف، وبينها وبين الجداول تنساب صادحة نغما وان كان يتكرر دائماً فهو موجد فى النفس استمتاعا جديداً أو مثير فى الخاطر أحلاما جديدة . تحت مثل هذا الظل الوارف اضطجع شاعرنا وصحبه مع الحسان يحتسون ويمرحون ويتناشدون قريض الشعر وقصيده، وتحت مثل هذا الظل الظليل وصف لنا ابن خفاجة الخمرة وحدثنا عن الحسان وعن الرقة التى تتجسم فى مثل هذا النوع من البشر .

***

هذا وليس ابن خفاجة ذلك الماجن الذي ينظر الى الحسناء فيأخذه جمالها وتأخذه نفسه للاستمتاع منها ولايفاء شهوة حسية . فان ابن خفاجة كان اذا نظر الى الحسناء يبهره جمالها فيقف مبهوتا، واذا رأى فيها أخلاقه المشهورة واستفاق من سطوة [illegible]

وهكذا كان ابن خفاجة هو ذلك الفنان العبقري [illegible]

شاهده .

فكما أحب شاعرنا المرأة ودلالها فقد أحب الرياض وجمالها . وكما أن الفنان اذا فتنه مشهد جميل أخذ يصوره بقلبه وبعقله وبكل ما لديه من حس وادراك، فان ابن خفاجة اذا ما فتنه هذا المشهد صاغه بقلمه شعراً جاء غاية فى الابداع . ولعل الامر الذى صاغه قلم الشاعر آثر فى فؤاد الانسان وعقله من لوحة الرسام .

فان اللوحة تحفظ على الجدران وفى دور الآثار، والشعر يحفظ فى القلب . فمهما طال الأمد واختلفت المؤثرات يبقى خالداً، واللوحة مهما فى شأنها فلا بد أن تبلى ولابد أن يمحيها الزمن . واذا كان الرسام الماهر هو الذى اذا رسم لوحة رسمها بألوان متناسبة وأشكال متناسقة كان واجبا على ابن خفاجة وهو ذلك الرسام أن يرسم قصيدته بهذه الدقة والمهارة .

وحقاً فعل، فان كانت الألوان هى الالفاظ لديه فقد أتى بمختارها . واذا كانت الاشكال هى المعانى فقد أتي أيضاً بأجودها . واذا كان للذوق نصيب لدي الفنان فان شاعرنا الفنان أحسن الانتقاء لم ينظم الا فى الغرض الذى يعد روح الشعر اذا عدت بقية الاغراض الجسد، فقد نظم فى الغزل ونظم فى الوصف . واذا أردت أن تدرك بلاغة وصفه ورقة غزله فاسمع هذه القصيدة يصف نارا أضرمتها الريح فكأنما هما يتغازلان، أو كأن الريح والنار فى موقف طرب يتمايلان، أو كأن الريح عاشق متيم يلثم خد اللهب الخجل . أو كأن فى موقد النار ماء عليه من نجوم حبب قال :

لاعب تلك الريح ذاك اللهب [illegible]

فعاد عين الجد ذاك [illegible]

وبات فى مسرى الصبا يتبعه

فوطها مضطرم مضطرب

ساهرته أحسبه منتشياً

يهز عطفيه هناك الطرب

لو جاءه منتقد لما درى

المسب منتقد أم ذهب

تلثم منه الريح هذا خجلا

حيث الشرار أعين ترقب

فى موقد قد رقرق الصبح به

ماء عليه من نجوم حبب

منقسم بين رماد أزرق

وبين جمر خلفه [illegible]

كأنما حزت سماء فوقه

والكدرت ليلا عليه الشهب

هل سمعت بأحسن من هذا الوصف ؟ وأجمل وأرق من هذا الغزل ؟؟ فاذا سمعت فان لم أسمع وان سمعت فقليل ما سمعته من الشعر على مثلها النمط الذى يتعمد صاحبه الحسنات ويوزن الحلاة فى اللفظ والأسلوب . وان هذا القليل من الشعر الذى سمعته ربما كان شيئاً من شعر أبى تمام . وفى الحقيقة فان ابن خفاجة من الذاهبين مذهب أبى تمام فى الشعر ومن الذين يفضلونه ويرفعونه لولعه عاليا فى الأندلس ،

[illegible]

الشعر الفرنسي
فى العصر المتوسط

تمهيد

ينقسم تاريخ الشعر الفرنسى الى خمسة عصور : (١) العصر المتوسط (٢) عصر التجدد (الرينسانس) (٣) القرن السابع عشر (٤) القرن الثامن عشر (٥) القرن التاسع عشر .

وقبل الكلام على الشعر الفرنسي فى عصره الأول، وهو العصر المتوسط، يحسن أن نشير الي أخص المصادر التى استمد منها الهامه وخياله، وهما مصدران أصليان : الأول الأدب الاغريقى والثانى الأدب الرومانى .

وقد كان الأدب الاغريقى شعريا محضاً فى مدى قرونه الخمسة أو الستة الأولى من تاريخه الذى يبتدىء من القرن السابع قبل الميلاد، وكانت أزهر أيامه فى عهد بركليس (القرن الخامس قبل الميلاد) وينتهى تاريخ الأدب الأغريقى بتاريخ استيلاء الأتراك على القسطنطينية .

وأشهر شعراء الاغريق ابتداء من القرن العاشر الى الثالث قبل الميلاد : هوميروس شاعر الالياذة (القرن العاشر) هزيود ناظم قصيدة صندوق بندور (القرن التاسع) ترتيه صاحب الأناشيد الوطنية (القرن السابع) أنا كريون شاعر الغناء والهجاء (القرن السادس) اشيل شاعر التراجيديات الشهيرة : بروميته المقيد والوجل الى أسقطته كيرياؤه (٥٧٥ — ٤٥٦ ق.م) بندار الغنائى (القرن الخامس) سوفوكل مؤلف قصة أوديب الملك (٤٩٥ — ٤٠٦ ق م) أوربييد الشاعر الفيلسوف خصم اشيل وسوفوكل (٤٨٠ — ٤٠٦ ق م) ارستوفان الشاعر الهزلى الهجاء (٤٥٠ — ٣٨٠ ق م) مناندر شاعر أثينا الكوميدي الشهير تلميذ الكاتب الاغريقى تيوفراست والذى فضله بلوتارك وكنتليان على سابقيه (٣٤٢ — ٢٩٠)

***

أما الأدب اللاتيني فقد زاد جدة وثروة فى القرن الثالث قبل الميلاد بتأثير اللغة اليونانية، وبلغ ذروة مجده فى القرن الاول فى حكومة أوغسطس، وتقلص ظل مجده بزوال أمبراطورية الغرب (القرن الخامس للميلاد) ثم أشرق نوع جديد من الأدب الرومانى هو أدب روما المسيحية الذى أشرق باشراقه فجر الأدب الايطالى الحديث .

وأشهر الشعراء اللاتين ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد الى آخر القرن الأول الميلادي م : بلاطس الشاعر الممثل الهزلى استاذ موليير وقدوته فى رواية البخيل وسواها (٢٤٤ — ١٨٤ ق م) تيرانس الشاعر الكوميدى الذى حذا حذو مناندر الاغريقى فى كوميدياته (١٨٥ — ١٥٩ ق م)، لوكريس الشاعر والفيلسوف المادى مؤلف : طبيعة الأشياء وقدسية الطبيعة التى فيها جعل السعادة والفضيلة من ملاذهم الحياة الدنيا (٩٥ — ٥١ ق م)، فيرجيل أعظم الشعراء اللاتين، ذو العاطفة الخارقة والرخامة المرنة المتصدعة النغمات مؤلف الالياذة (Eneide) التى قص فيها رحلة [illegible] أحد أبطال طروادة الى روما (٨٠ — ١٩ ق م)

روحى بندار وانا كريون (٦٥ — ٨ م)، اوفيد الشاعر الخرافى (ميثولوجى) ومن أمثاله الخرافية أخرج الشاعر لافونتين قصتى فيليمون وبوسيس (١٧ — ٤٣ م)، فيدر شاعر التربية الذي كان لا يهمه من القصة غير الدرس الاخلاقي وهو استاذ لافونتين الذي فاق فى القصة (٣٥ — ٤٠ م) لوكين الشاعر القصصى الذي حنق عليه نيرون لانه انتصر عليه فى مطارحة شعرية فحرم عليه غشيان المسارح والمحاكم والمجتمعات فاراد أن ينتقم من نيرون بالدخول فى مؤامرة ضده فلما اكتشفت حكم عليه بالموت بقطع الشرايين فمات وهو ينشد أبياتاً من قصيدته الحماسية التى قص فيها قصة الحرب الاهلية بين قيصر وبومبى (٣٩ — ٦٥ م) ؛ جوفنال الشاعر الهجاء اللاذع الذى اختفت على أثره جهود العبقرية الرومانية (٤٢ — ١٢٣ م)

اللغة السلتية أو الجولية

كانت اللغة السلتية وتسمى أيضاً الجولية أكثر اللغات ذيوعاً بين الجول (سكان فرنسا الاصليين) قبل الفتح الرومانى . وقد ظلت بقاياها محفوظة الى أيامنا فى ربوع بريتانيا وايرلنده وايكوسيا وبلاد الغال، بيد أنه لا يوجد أثر كتابى من آداب هذه اللغة الاولى التى ربما كانت لا تتعدى حد الاناشيد الدينية التى كانت صلوات كهنتهم والقصائد الحربية أو الوطنية التى كان ينشدها شعراؤهم الذين كانوا يدعونهم البارب (les barbes)

دخول اللغة اللاتينية بلاد الجول

وبعد فتح يوليوس قيصر (٥٥ — ٥٨ ق م) ذاعت اللاتينية الدارجة على ألسنة الجند الرومانى بين الشعب الجولى الذى أصبح حظه بعد هذا الفتح متعلقاً بحظ الامبراطورية الرومانية .

وبينما كانت مصلحة الغالب تحتم على الشعب المغلوب تعلم لغته اللاتينية، كانت طبقات العلية والنبلاء مدفوعة بالميل الى الكتابة أو حب الظهور الى تعلم اللاتينية المدرسية والى تعود الفصاحة فى المدارس الرومانية التى انشئت فى نيم واوتون وبوردو وليون وتولوز وبيزانسون وبواتيه وريمس الخ . والتى لم تلبث حتى خرجت الشعراء والفلاسفة والخطباء والمحامين الدائعين من الجول منهم فاروث دى ناربون (القرن الاول) . ودوميتيوس آفر دى نيم (القرن الاول)، وأوزون دى بوردو (القرن الرابع) كان خطيباً وشاعراً وسان بولان (القرن الرابع) كان أسقفاً وشاعراً وسان هيلير دى بواتيه وسان سوليبس سيفير وغيرهم من رجال الدين المسيحى فى أول ظهوره .

وبعد ان ظل الجول، ان طوعا وان كرهاً، تحت حكم الرومان أربعة قرون كاملة، فوجئوا فى القرن الخامس بغارة القبائل المتوجرمانية وهم الوندال والسويف والآلين والبورجندة والوزيلوت، الذين خربوا الحقول ودمروا البلاد وشتتوا شمل العلماء، أشعلوا النار فى المدارس والمكتبات ؛ ومع ذلك فقد تغلبت اللغة اللاتينية بنفس تأثيرها الأول وتأثير الكنيسة التى امتد نفوذها على الغرب ؛ وكانت غيرة الاساقفة فى عام ، سبباً فى تمسيحهم الرشدين والحاة، اعترافا بحرامهم على العلم والادب والمدنية الاوروبية، وهم فضلا عن ذلك أنشأوا مدارس الاسقفيات التى كانت معقل اللغة اللاتينية ؛ وسبيل الدفاع عن حقوق الانسانية والدين، اذ مد لها الرهبان يداً قوية لمحاربة المفاسد الرومانية القديمة، ولتطهير قلوب الغزاة المتوحشين، وافتتحوا مدارس الاديرة للشعب الجاهل، وحرثوا الارض المهملة، وأعادوا نسخ الكتب القديمة، وسجلوا فى سجلات أديرتهم حوادث هامة، كانوا هم شهودها لم يلتفت عالم دنيوى لأثباتها ؛ فنجد بين صفوف رجال الاكليروس أمثال جريجوار دى تور (القرن السادس) أول مؤرخ فرنسى لتاريخ الفرنج وفريد يجير (القرن السابع) الذى أتم عمل جريجوار الى سنة ٩٤١ م . وايجينارد (القرن التاسع) وهو سكرتير الأمبراطور شارلمان وواضع تاريخ حياته، وابون (القرن التاسع) الراهب الشاعر الذى نظم قصيدة فى وصف حصار النورمانديين لمدينة باريس

العصر المتوسط

(من القرن الخامس الى الخامس عشر الميلادى)

ظلت اللغة اللاتينية الدارجة بعد الفتح مستعملة بعد ان ادخل عليها الجول كثيراً من التبديل، ولكن الجرمانيين تعمقوا فى تحريفها، ولم تلبث حتى استحالت لغة جديدة، غير انها ناقصة دعيت منذ ذلك الحين باللغة الرومانية .

وأولى آثار هذه اللغة الجديدة : (١) معاجم ريشنو (القرن الثامن) وهى شروح على الترجمة اللاتينية للتوراة، ملفقة بفهارس لغوية (٢) عهد ستراسبورج (القرن التاسع) وهو القسم الذي أقسمه لويس الجرمانى لأخيه شارل الأصلع فى سنة ٨٤٢، وتعريب نصه الذى نقله نيتار (٧٩٠ — ٨٥٨ م) مؤرخ شارل الاصلع هو : (لحب الله والشعب المسيحى ولسلامتنا العام، منذ اليوم، بقدر ما تسمح لى منحة الله من قدرة وواجب، أعضد أخى شارل الحاضر هنا، بمساعدته فى كل شىء، كما يقضى العدل ان يساعد المرء أخاه بقدر ما يقدم هو من نفس المساعدة، وقط لا أبرم أى اتفاق مع لوثير يكون فيه بارادتى خسار لأخي شارل)

(٣) نشيد القديسة أولاليا (القرن العاشر) وهى قطعة شعرية من ثلاثين بيتا جمعت الصراعين لأول مرة فى تاريخ الشعر الفرنسى أولها :

كانت أولاليا فتاة صالحة

جميلة الجسد وهى بروحها أجمل

أراد أعداء الله أمرها

لتكون فى خدمة الشيطان

(٤) قطعة الولنسيات (القرن العاشر)
(٥) قطعة مواعظ
(٦) حياة القديسة ليجيه والكسيس
(٧) قصيدة صغيرة تصف آلام المسيح
(٨) قوانين غليوم الفاتح
(٩) مجالس اورشليم (القرن الحادى عشر)
(١٠) أنشودة رولان (القرن الحادي عشر أو الثانى عشر) (١)

لغة أويل ولغة أوك

مرت باللغة الرومانية تغير تدريجى وتوالدت منها فروع كثيرة حتى كانت فرنسا فى نهاية القرن الحادي عشر تجمع من من مختلف اللهجات أكثر مما فيها من الولايات، وكانت جميعها متفرعة من لغتين أصليتين : لغة (أوك) ومعنى أوك فى لغتها نعم، ولغة (أويل) ومعناها فى لغتها نعم أيضاً، والاولى تجمع اللهجات التى ينطق بها أهل جنوبى اللوار وهم الجسكون والليموزين واللانجدوك والبروفنسيال، والثانية تشمل اللهجات التى يتكلم بها أهل شمال اللوار وهم الوالون والنورمان والبيكار والبورجنيون وأهل ايل دي فرانس والفرنسية التى — تبعاً لغلبة هذه الولاية السياسية على غيرها — حلت شيئاً فشيئاً محل اللهجات الاخرى حتى صارت فى القرن الرابع عشر لغة المملكة بأسرها .

وعلى هذا التقسيم تكون اللغة الرومانية قد انتجت أدبين مختلفين لكل منهما مميزاته الخاصة .

الشعراء التروبادور والشعراء التروفير

وهم الشعراء الفرنسيون فى العصر المتوسط ؛ واسم الاولين من كلمة (trobar) اللاتينية ومعناها وجد وابتدع ؛ وكذلك معنى كلمة تروفير من (trouver) .

(١) اللغات الرومانية أو اللاتينية الجديدة هى : الفرنسية والايطالية والاسبانية والبورتغالية والولاشية وهى لغة احدى قسمى رومانيا التى منه مدينة بوخارست

« البقية على صفحة ٢٨ »

قصة الاسبوع

شريك في الاثم

للكاتب الفرنسي الاكبر بول بورجيه

— ٢ —

ثم قال صاحبي : « واليك مثلا آخر : غادرت الفندق مبكراً ، بعد هذا الليل الأرق ؛ معتزما ألا أعود اليه إلا متأخراً ، أعني بعد أن تكون مرجريت قد ذهبت بلا ريب الى المحطة ، وكنت أفضل ألا أراها ولو منفردة . وبعد أن جبت شوارع المدينة عرضاً ؛ أشرفت في نحو الساعة الحادية عشرة على القصر الاحمر ، ودخلته لأرى صورة « فان دايك » مرة أخرى . فتصور مبلغ دهشتي اذ سمعت من جديد ذلك الصوت الذي اضطربت له بالأمس تحت أشجار الحديقة يرن في أروقة القصر المقفرة . أجل ! كانت الفتاة هنالك . وشدما كنت أخشى رؤيتها ولو فريدة . فآه لو كانت فريدة فقط ! ولكن صوتاً كان يجيبها ، هو صوت صاحبها بالأمس . وكنت في تلك اللحظة أمام صورة « باوولا » الشهيرة . وكان العاشقان يقتربان مني كما يدل صوتهما ؛ وكانا يتسكعان عندئذ بشيء قليل من التحفظ . ولعلهما قدرا أن أحداً قد يراهما من الاصدقاء ، فكان لهما أن ينتحلا المصادفة عذراً لهذا الاجتماع . بيد أنهما صمتا فجأة ، واستطعت بتلك الحدة التي تفتح في حواسنا أحياناً أن أميز صوت همس ، فقد غيرا لهجتهما . وقد رأتني مرجريت وعرفتني . ولا ريب أنها قالت لخليلها هذه العبارة التي تروعها : « صديق لزوجي ! » . على أنها لم تفر ، بل ظلت الخطوات تقترب مني . أما أنا فلبثت جامداً أتأمل الصورة دائماً كمن استغرق فكره ، وأسائل نفسي : « هل أرتد ؟ أليس الافضل أن أوفر عليها وعلى نفسي هذا الحرج ؟ » . بيد أنه ليس من المعقول أن أبقى كذلك دون حراك ، اذ يغلب علي عندئذ هيئة من رأى ولا يريد أن يراها ، وهي اهانة لا ريب فيها .. ذلك لأن احجامي عن رؤيتها معناه أنها في حالة مريبة . واذا حييتها قدمت اليها فرصة الايضاح واختراع عذر يمكن أن أتظاهر بقبوله .. . كنت أجادل نفسي على هذا النحو وألبث على جمودي . ثم وقف الاثنان ورائي . ولا ريب أن المرأة المسكينة كانت تسائل نفسها عما اذا كان الغيب دوراً . بيد أنها لم تتم تفاهتي بالحديث . ولكنها اندمجت بتلك الشجاعة التي يبديها النساء دفاعاً عن خيانتهن ، وجرؤت أن تتكلم بصوت عال لكي ترغمني على الارتداد .

« فقالت [illegible]

اياها .. وأؤمل أن أراك في باريس .. أما الآن فيجب أن أعود حالا لكي لا يفوتني قطاري .

« وكان مستحيلا ، ان لم أكن اسمع ، ألا أسمعها . بيد أني لم أرتد قط ! وترددت مرجريت روتييه برهة ، ثم ابتعدت كأنها لم تلاحظ وجودي أيضاً ، وتبعها الفتى بعد بضع ثوان ، بينما لبثت أنا في موقف الشاذ في هيئة المأخوذ أمام صورة « فان دايك » . والخلاصة أنهما ابتعدا عن خطوات عاشق مدام روتييه ، وعدت أنا الى السير ، سقطت في غمار من الندم لا أستطيع وصفها . ذلك أني بما تظاهرت من عدم رؤية مرجريت ، قد نبأتها كما لو نبأتها بأوضح الكلام ، أنني أعتقد في أثمها وفي هذا الاثم . ولا ريب أن أول ما فعله الفتى عند عوده الى الفندق هو مراجعة ثبت النزلاء ، فهنالك يجد اسمي ، وعندئذ يقفان على الحقيقة ويعلمان أني قد اكتشفت وجودهما في ذلك المقام المرضي . وكوني لم أرتد في رواق القصر الأحمر دليل على أني لم افاجأ بهذه المقابلة ، والا فلابد أن الدهشة كانت تثير مني حركة . والنتيجة المحققة هي أنني لا أستطيع بعد في نظر زوجة شارل أن أتظاهر بجهل زلتها . أجل ! كانت تعرف أني أعرف لها خليلا ، وكانت تعرف أني أعرف . بأي وجه سيقابل أحدنا الآخر ؟ لقد كنت أشبه من شريك في الاثم . ولكني انحدرت اليها الآن . فاذا مجرم يحصل منا على دليل بأنا نعرف ذنبه وأننا نشاركه فيه بالصمت ، فان له الحق أن يعتبر أننا تواطأنا معه . فشدما كان الاعقل أن استبيح المهزلة التي كانت تدعوني اليها عبارتها ، ولو أني ارتددت بكل بساطة وقلت لها : أهذه أنت يا سيدتي لكانت قدمت الى صاحبها قائلة انها لقيتني في جنوه مصادفة فقط ، ولكانت كتمت عنه وعني الى زوجها ؟ ولكنها قد غدت الآن مرغمة على الصمت ازاء زوجها لكي لا تناقض ما سوف أقوله لصديقي لو قلت له شيئاً ، وهكذا أصبحنا متواطئين وقد صمت الى الابد وذلك من جراء ما ارتكبت من غباء أو حذر .

« وكان الاثر الأول لهذا الموقف [illegible] أنه استحال علي خلال الاثني عشر يوما التي [illegible] أن أرد على خطاب الزوج [illegible]

آخرين دون أن أستطيع الاقدام على زيارته ، وكنت أشعر أن هذا الاحجام أكثر حماقة من تصرفي في القصر الاحمر . وما كان بوسع شارل ألا يدهش لذلك ، ولا يدأبه في سؤالي عن السبب . بيد أني كنت قوي العزم ألا أبلغ اليه خيانة زوجه . واذن فماذا كان يعني هذا الاحجام عن زيارته ؟ جادلت نفسي ، وأرعبتني فكرة أني شريك في أشنع اهانة تلحق هذا الرجل ان أبقى على احجامي . وكنت أخلو الى نفسي يوماً في منزلي ، وأسائلها : متى استطيع ان استأنف هذه العلائق التي تتدرج يوماً عن يوم ، واذا بخادمي يعلن الى ان سيدة تريد ان تراني ؛ فأمرت بادخالها ، فاذا بي أرى مرجريت روتييه بذاتها .

فابتدرتني قائلة : اني هالكة .

ثم قالت دون شرح وفي لهفة الجزع : « لقد ألقت المصادفة سري بين يديك ؛ واعلم أنك لم توقع بي لدى شارل ، ولهذا اراك انقطعت عن زيارتنا . ولكن لك قلباً ، وسوف تشفق على منكودة . اكرر لك أني هالكة ... فقد حملت ... »

« فلم تكن المنكودة تطلب الى فقط ان أبقى عند اشتراكي في الاثم بطريقة سلبية ، بل كانت تطالب الى الاشتراك الفعلي . وكانت قد عادت من ايطاليا منذ ثلاثة أيام فقط ، وعرفت من امارات لاشك فيها انها قد حملت منذ شهر . ويجب أن أزيد على ذلك ما اعترفت به لي خلال الدموع والزفرات ، وهو أنها منذ كان لها خليل ، كانت تعتذر باعتلال صحتها لتعيش منفصلة عن زوجها ؛ فباءت هذه الأمومة لها خطراً أروع . هذا في حين أني كنت هنالك ، أنا عزيز زوجها بل أخوه لأقص ما شاهدت . وقد فكرت في أن تفر مع خليلها ؛ وبدأت لديه مسعى لم ينزها تماما عن طبيعة عواطفه نحوها ، ففكرت في الانتحار ، ولكن غريزة البقاء غلبت عليها . فهرولت خلال اضطرابها الى لانها تعرف اني أعرف سرها كما قالت لكي تناشدني الرأفة ... ماذا ؟ لقد شعرت خلال ذلك أي حاجز ضئيل يردنا عن الجريمة ! أجل ! لقد جاءت تضرع الى أن أصحبها الى طبيب لكي ترجوه ... ماذا أيضاً ؟ ترجوه مساعدة دنيئة في أن يقف هذا الحمل الفاضح ، وهل تراني في حاجة لأنبئك بجوابي ، وما نصحت به اليها ، وما تضرعت أن تعيش والا تعتدي على حياتها أو حياة الولد الذي تحمل في جوانحها ؟ لقد ألحفت عليها قائلا :

« — خير أن تعترفي الى شارل بكل شيء ، وأن تفترقا وسوف تحتفظين بمالك وولدك . وفي وسعك أن تجدي الوسيلة الى الطلاق . وان تحملي ذلك الندم الخالد ندم القتل — وأي قتل — عبئاً على ضميرك .

وأخذت أثناء حديثي تعاودها السكينة ، ثم انصرفت بعد أن أقسمت لي أنها لن تحاول انتحاراً أو اعتداء على حياة الطفل . وفي الغد زال مني كل تردد في زيارة شارل ، فقصدت الى منزله منذ الساعة العاشرة . وكنت واثقاً اني أجده في هذا الوقت فتلقاني بفرح أيقنت منه أنه لا يعلم شيئاً من حقيقة المأساة التي كان منزله لها مسرحا .

قال لي مبتهجاً : لقد كنت أنكر [illegible] هذا التصرف [illegible] لقد عادت مرجريت من ايطاليا راضية [illegible]

لاستقامتك بعد ؟ ومع ذلك فان السعادة في الزواج وصدقني أن لاسعادة الا فيه ... ! »

واني لأوفر عليك شرح الاعذار التي قدمتها الى ذلك الرجل المخدوع شرحا لسوء وفائي . وفي مساء نفس اليوم كنت أتعشى عنده الى جانب المرأة البائسة التي زارتني بالامس ، والتي كان يبدو على وجهها الجامد أنها قد نسيت ثمرة الاضطراب التي تجوزها والخطر المروع الذي يهددها . وأدركت أي حل بسيط لقيته لذلك المشكل المؤسي ، وذلك حينما أفضى الى شارل بعد ذلك بشهر باعتراف جديد . وكنا ندخن في حجرة [illegible] بعد أن تناولنا العشاء معاً .

« قال لي — اني جم السعادة أيها الصديق ! فسوف يتحقق حلمي اذ أؤمل أن أغدو أباً ، وسوف تكون اولى »

« وقبل أن تمضي ثمانية أشهر على ذلك وضعت مرجريت ابناً ، حدثني عنه شارل بكبرياء [illegible] أن أبتسم لها »

« قال لي .. أجل أيها الصديق ، انه طفل قوي ، وقد جاء قبل الأوان في سبعة أشهر ونصف ، وهو أمر عجيب . وكنت خائفاً فطمأنني الطبيب ، وهو طبيب بارع عرفت مرجريت عنوانه مصادفة من احدى صديقاتها عقب عودها من ايطاليا . وكانت في الواقع عليلة ، وكنت أخشى أن لا أكون أبا ، فأسعفها بعنايته وحذقه ، واني أكرر لك اني جم السعادة ... »

« وكنت وهو يحدثني أكاد أسقط خزياً وخجلا . ألم أكن أحد أولئك الذين [illegible] تأييد ذلك الجرم الشنيع الذي سوف يعيش [illegible] الآن وسوف يدوم ؟ وقد فهمت ان مرجريت حينما غادرت منزلي ذهبت الى طبيب ما وسألته في الاجهاض ، فنصح الطبيب الى عميلته البائسة أن ترد الامور جميعاً الى زوجها متعهداً [illegible] على قبول التواريخ ، وهي عادة لا تدعو الى الشك ... »

« هل كنت على حق أم على ضلال [illegible] أحجمت عن الكلام منذ البداية ؟ وهل أنا على حق أم ضلال اذ ألزم الصمت الآن ؟ اني بعد هذه الأعوام العدة مازلت أسائل نفسي دون جواب . وهل كنت على حق أم ضلال اذ دخلت [illegible] التعميد هذا الطفل الذي أعرف أباه الحقيقي ، بيد انه لم تمض ستة أشهر على ولادته حتى استطاعت أمه أن تكدر صفو علائقي مع شارل ، فلم أحاول أن أثير الموقف ، بعد ان أصبحت أشعر عند زيارتي لذلك البيت بأشد الآلام ... وفي وسعك أن تفهم الآن لماذا لا أرافقك الى فندق *** في جنوه »

وهل أقول اني أيضاً لم أزل في هذا [illegible] عطفاً على شعور [illegible] ؟ وكثيراً ما سألت نفسي ماذا كنت أفعل أنا لو كنت مكانه [illegible] مثل هذا الصمت ازاء صديق حق [illegible] ومع ذلك فما أقسى الكلام ! [illegible] انه يجب علينا دائماً أن نتجاهل بعض الامور [illegible] فان أحكم سياسة في الحياة هو [illegible] عينيه وأذنيه لكي لا يعلم شيئاً [illegible] وهو الاسلوب الوحيد [illegible]

لمحة من علم الاجتماع

البيئة

البيئة هي قطعة محدودة من أديم الارض تتفاعل فيها عناصر الطبيعة كما تؤثر في صقلها الكائنات الحية فتطبعها بطابع خاص . وقد تكون لبيئة معينة أشباه ونظائر في ناحية أخرى من نواحي العالم ، ولكن مهما قربت مسافات الخلف فانك لابد عاثر على فروق جليلة أو دقيقة تجعل التمييز بين البيئات ظاهراً واضح الاثر .

وقد اتفق علماء الاجتماع على اعتبار الشمس والبحار والارتفاع والتركيب الجيولوجي والانحدار ومايلابس هذه الظواهر من اختلافات في حالة الجو كدرجة الحرارة وهبوب الريح وهطول المطر ، أم العوامل في تكوين البيئة وصبغها بالصبغة الطبيعية المجردة . أما مجاميع الكائنات الحية التي تنشأ فيها فلا بد أن يوافق مزاجها الحيوي طبيعة تلك البيئة وظروفها المادية .

على ان البيئة لاتبقى على حال ، فهي عرضة للتبدل والتحول بفعل القوى الهادمة في احدى جهاتها البانية في جهات أخرى ، فهي أبداً في محو وتكوين وتخريب وتعمير طبقاً لقوانين السكون الازلية . وكذلك شأن الكائنات الحية التي تتخذ من تلك البيئة موطناً لها ، فهي فضلا عن تأثرها بحركات البيئة وآلامها واندماجها فيها فان بين بعضها وبعض تعاونا وتنابذاً وتآزراً وتنافراً وسلاما وحرباً ، تزيد في مظاهر تلك التغيرات ، وهذا مايعبر عنه بالتطور الاجتماعي .

ولهذا التطور في نواميس الطبيعة مظاهر شتى ، فأنت ترى أمواج البحر وماتستمده من قوة الانواء والمد والتيارات تفرض الصخر وتبليه وتكثر منعرجات الساحل وتثنيه ، وترى الزوابع والاعاصير تكتسح كل شيء أمامها وتسفي الرمال والغبار وتعم الاجواء بسحب كثيفة سوداء ، فاذا هدأت سورتها تغيرت معالم الارض وعفت آثارها . كذلك تفيض الامواه على شواطيء الأنهار فتغمر السهول وتهلك الحرث والنسل ، ويتمخض جوف الارض فيقذف على أديمها حمما وغازاً [illegible] ويصب على رءوس العباد هلاكا مريعاً ، [illegible] الارض زلزالها فتدك الجبال الراسيات [illegible] مدنا وأمصاراً ، ويجمد الماء في ثنايا الصخر [illegible] ، ويهطل المطر على ذرى الجبال فيبليها ، [illegible] الريح على الرمال فتسفيها ، وتسطع الشمس على أصلب الصخر فتمدده وتشققه [illegible] هذه وما اليها من عوامل الهدم لاتفتأ تغير صحيفة الكون وتبدلها .

وهنالك أيضاً عوامل البناء ، فهي تخفف من وطأة الطبيعة وقسوتها ، [illegible]

يشق طريقه في الامواه صعدا حتى يبرز فوق أديم الماء جزراً مرجانية .

في أحضان تلك الطبيعة المتغيرة المتحولة ، وبين جدران البيئات التي اشتملت عليها الارض وارتسمت فوقها ، عاشت مجاميع الكائنات الحية وعلى رأسها ذلك المخلوق العجيب الفذ — الانسان — فمشى يجد في طلب الرزق ، فاذا بالبيئة تخلع عليه وافر الخير في احدى أصقاعها وتقتر عليه في الصقع الآخر ، فطفق يتلمس حنانها ويسترضيها وهي تبسم له تارة وتعبس طوراً ، ثم عمد الى تعرف أسرارها وأخذ يكافحها وأخذت تكافحه ، فاذا أسلست قيادها يوما استعصى عليه أمرها أياماً ، ثم يشتد به العوز ويحز به السعي وراء العيش فيعيد الكرة بعزيمة أقوى ويشهر عليها حرباً عواناً .

حكى أحد نزلاء الفرنسيين في العالم الجديد — وكان قد نزح اليه عقب غزوة جاك كرتييه لحوض المسيسبي — انه اختار للاقامة بقعة فسيحة من الارض تشرف عليها غابة كثيفة ، فشاد منزلا وأنشأ حديقة ، واذا بالغابة تزحف على الدار فاشتد فيها الظلام وامتنع الهواء ، فانبرى لها بالمعاول والفؤوس فارتدت ثم آبت اليه تقلقه من جديد ، وأعيته الحيلة في قهرها فأشاح بوجهه عنها ونفض يده منها ، وجاء بعده أقوام فوجدوا ما وجد فاستنبطوا وسائل اذلالها وطهروا الارض من كثير من الغابات .

وروي عن تيمور لنك الفاتح المغولي الجبار أنه قام بجحافله البربرية من أسوار الصين ناشداً سهولا خصبة وأودية غضة تزخر بالثراء والنضار بعد ان سئم الفلوات ورعي الانعام ، فالقى في نفوس القبائل من الرعب والفزع ماساقهم الى الهجرة والفرار ، فما زال يدوخ المدائن والامصار ويروع الأمم والشعوب حتى ألقى عصاه في أواسط بلاد المسكوف فلم يصادف فيها الا مامله من البداوة والرعي ، فانصرف عنها مولياً وجهه شطر الدولة العثمانية اذ كانت قد ضربت في الحضارة بسهم ، فظن الجبار أنه واجد في ملكها ضالته فمشى بجنوده اليها وكان من أمره معها ما كان . تلك كانت الحال في أوائل القرن الخامس عشر ، فما جاء القرن الثامن عشر حتى اقتلع المسكوف الحشائش من « أرضهم السوداء » واستعاضوا عنها بالحبوب والفاكهة ؛ فتبدل وجه الارض تبديلا وانتقل من البداوة الى الحضارة : من رعي الانعام الى غرس النبات .

هكذا وفق الانسان لكبح جماح البيئة وتمهيد اكنافها ، وهذه أعظم مرحلة من مراحل الرقي البشري بل هي الدعامة القوية التي أقيمت فوقها صروح المدنية القديمة في مصر وآشور وحضارة القرون الوسطى عند العرب والرومان وكذلك الحضارة الحديثة .

على أن جهود الانسان لم تقف عند هذا الحد فقد استرسل في الكفاح [illegible]

الفروق في الاجناس البشرية وتوفر العلماء على التمييز بينها فدرسوا الجماجم والشعر والعيون والانوف والقامات وجعلوها مقاييس الانواع الانسانية والاجناس .

وقامت الصناعة في البيئات الزراعية ورقيت كذلك حيناً من الدهر حتى كان الانقلاب الصناعي في القرن التاسع عشر اذ عرف البخار واستعملت الآلات فانفصلت البيئة الصناعية عن البيئة الزراعية لانها باتت ترتكز في حياتها الجديدة على مصادر القوة من فحم وبترول ومساقط مياه . وازدحمت البيئات الصناعية بالسكان ، وبدأنا نسمع في دهشة واستغراب [illegible] ملايين الانفس في المدينة الواحدة ، ثم بانقلاب هائل في طرق النقل والانتقال ومنافسة شديدة بين الدول العظمى في الاستحواذ على الاسواق لتصريف منتجات الآلات الحديثة وما لازم ذلك من انشاء الاساطيل [illegible]

الاجتماعية وأغرى الناس بالحرص على المادة فأوقعتهم في غمرات ومشكلات ، وانصبغت الحياة الأدبية والعلمية بتلك الصبغة الحسية [illegible] ، فكثر في الأدب نفثات الكتاب المتبرمين [illegible] في فترة امتدت بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر — تقرأ لهم شعراً وقصصاً ومقطعات [illegible]

ابن خفاجة

« بقية المنشور على صفحة ٢٤ »

الشعرية . فهو أقرب الى الشعر منه الى النثر . وقد يمكن أن نسميه من النوع الشعري المنثور . وهذا النثر أيضاً جمع ماجمعه شعر ابن خفاجة من الرشاقة والسهولة ومبتكرات المعاني الطريفة والتشابيه الأخاذة بالتفاوت المثيرة للحس والوجدان . ولكن هذا النثر قليل ، فانك واجد الى جانبه نثراً غاية في الركاكة ، وذلك لأن ابن خفاجة من أولئك الفنانين الذين يبرعون في ناحية من الفن واحدة وافقت ميولهم وأمزجتهم ؛ فهو بذلك من الاخصائيين .

وقد يتوهم السامع ان ابن خفاجة شاعر وصاف خلو من كل ميزة أخرى ، وكل ما أتى به هو وصف فني صادق اقتصر على ابداع الرسم واجادة الغزل ، واذا أردنا هذا فقط من ابن خفاجة فاننا نكون قد ذهبنا مذهباً غير صحيح . واني أذهب الى أبعد من هذا ، فأقول ان شاعرنا الماجن الخليع المتهتك كان واقفاً على شيء غير قليل من أسرار الحياة ، ولعله من أتباع مذهب أبيقور الذين يجدون من الحياة متعة على المرء أن يفتش على كل ماهو ملذ في عرفه مسر في نظره .

وجد ابن خفاجة لذته في المجون والخلاعة وجعل يسرف في مجونه كلما زاد اعتقاداً في أبيقوريته وكلما وجد من نفسه طلبا للذاتها . وليس هذا ببعيد عن نفسية ابن خفاجة التي عرفناها تحب الجمال وتحب الرياض وتحب الطبيعة وتحب كل ما في الوجود من فن ومافي الحياة من لهو ولذة . وان لم يكن ليشاركني أحد في هذا الرأي فاني واثق منه مقتنع به . ولربما شاركني أناس كثيرون في مثل هذا الرأي على علاته أو مع شيء من التحريف ، واني لم اطلع عليه لأن من كتب عن ابن خفاجة في هذا العصر بعد قليل . ترك ابن خفاجة شعراً ملأه بالمبتكرات والطرائف وكلما خلا الى نفسه أخذ يفكر حتى أخرج للناس هذه المبتكرات أشياء ضمنها أفكاراً جميلة وملاحظات بديعة . وقد تكون هذه الافكار والملاحظات قديمة وجديدة معاً ، لان شاعرنا فنان يخرج من كل قديم جديداً بدقة ومهارة . فاسمع الى قوله :—

وليل اذا ماقلت قد باد فانقضى ... تكشف عن وعد من الظن كاذب
سحبت الدياجي فيه سود ذوائب ... لأعتنق الآمال بيض ترائب
فمزقت جيب الليل عن شخص أطلس ... تطلع وضاح الضاحك قاطب
رأيت به قطعاً من الفجر أغبشاً ... تأمل عن نجم توقد ثاقب
وأرعن طماح الذؤابة باذخ ... يطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة ... ويزحم ليلا شهبه بالمناكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه ... طوال الليالي ناظر في العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم ... لها من وميض البرق حمر ذوائب
أصخت اليه وهو أخرس صامت ... فحدثني ليل السرى بالعجائب
وقال ألا كم كنت ملجأ قاتل ... وموطن أواه ومؤئل تائب
ولاطم من نكب الرياح معاطفي ... وزاحم من خضر البحار جوانبي
فما كان الا أن طوتهم يد الردى ... وطارت بهم ريح النوى والنوائب

***

فلسفة ابن خفاجة الابيقورية جعلته ينصرف عن غير مافي الدنيا من نعيم ، ومزاجه الفكه وروحه الخفيفة جعلته لاينظر الى الحياة الا من منظار لا ينعكس غير شعاع المرح والبهجة .

وهكذا فان شعره أشبه شيء بالمنظار الى الصور الجميلة يستجلي الانسان محاسنها .

مصيف بلودان — ماجد شيخ الارض